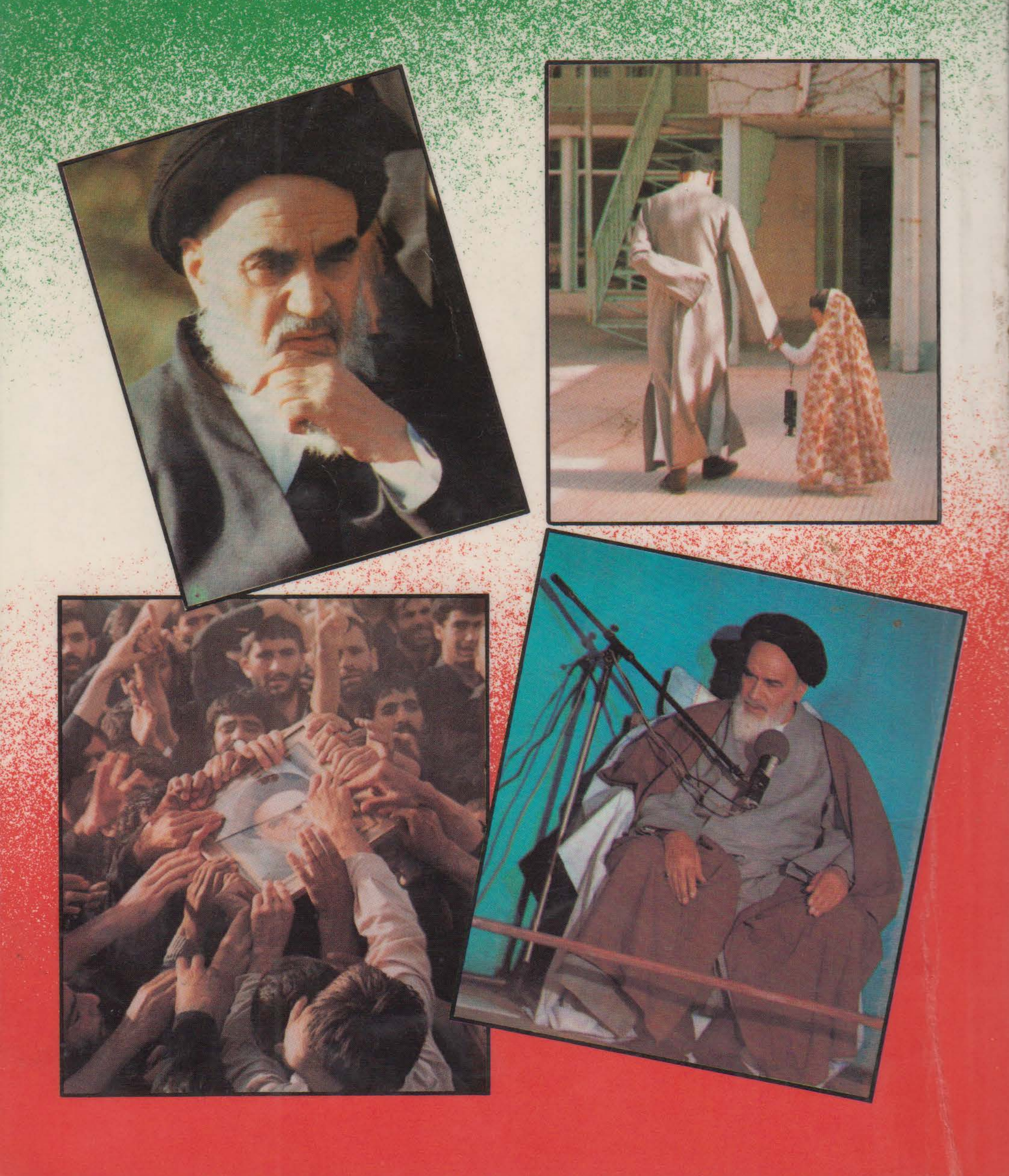
قبسات من حياة الامام



قبسات من حياة الإمام

قبسات من حياة الإمام

القسم الثقافي
لجنة إمداد الإمام الخميني (قده)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إلى روح الأرواح

مبلسم جراحات المعذبين

باعث الدفىء في قلوب المستضعفين :

بمرٌّ علينا العام الثاني ، والبعد يثير فينا شجون وأحزان . . . تلك الأحزان التي ترجع إلى بيت فاطمة وصرخات علي وكبد الحسن والجسد المقطع في أرض كربلاء . . .

لقد كنت في حركتك الهادرة التي جرفت كالسيل العظيم حثالة الجبابرة والطغاة محيي سنة الأطهار (ع) ، فإذا بالقلوب تنبض بحبهم والنفوس تتطلع إلى وارثهم بقية الله بالأمل الجديد الآتي من أعماق السنين . . .

بثورتك جعلت الحلم نوراً يضيء سماء الوالهين فساروا ينثرون دماءهم على الأراضي البعيدة لتنبت رايات الحسين وثار الله .

إلى الله نشكو بثّنا وحزننا للفراق الذي يعذبنا . . . تركتنا يتامى والقلب يحكي :

أيهــا الــدليــل ســارت القــافلة تتبعـك

أنت الــواصـل ونحن الــرواد نلحقـك

أخبــرني مــا ســر من يلحـق ســريعــاً

أيهـا العبد الصـالـح لعلي أرحـل معـك

القســم الثقافي

لجنة إمداد الإمام الخميني (قده)



آیۃ اللہ العظمیٰ محمد علی آرا کی

مكث السيد الخميني في آراك (منطقة جنوب قم) حيث كان يشتغل هناك بتحصيل العلوم الدينية في حوزتها ، ومع أنه كان يلقي بعض الخطب من على المنبر إلاّ أني لم أكن أعرفه في تلك الفترة . أما في ذلك الوقت الذي كنا فيه في قم فقد حصلت لي المعرفة التامة به ، وكان أحد أصدقائي . وقد يتفق أحياناً أننا كنا نمشي معاً من المنزل حتى الميدان القديم في قم قرب « شاهزادة حمزة » ونرجع معاً ونحن نتباحث ونتحدث ، وكانت هذه الحالة تتكرر دائماً ، حيث كنا معاً في غاية الأنس .

في الفترة التي أتيت فيها إلى قم أظهر لي طلبه في دراسة تفسير الصافي عندي ، ولا علاقة لهذا التفسير مع أصول الفقه واصطلاحاته ولهذا ـ ولأنني لم أكن معتاداً على اصطلاحاته ـ درست عدة ليال ، وبعدها لم أعد وهو لم يصر أيضاً . نعم هكذا كانت بداية العلاقة بيننا .

كان رجلاً جليلاً جداً ، وهكذا عرفته ، كثير الطهارة ، طاهر النفس ذاتاً وباطناً ، وهذا معلوم لكل الناس . خلال مدة الخمسين سنة من معرفتي به لم أر منه غير التقوى والتدين والسخاء والشجاعة

والشهامة وكبر النفس والقلب الكبير وكثرة التدين والجدية في العلوم النقلية والعقلية والمقامات العالية و . . كان رجلاً تقيّاً بكل ما للكلمة من معنى ، يضحي في سبيل الإسلام . هذا الرجل انحنت له المروءة فقام مقابل الكفر ، فجعل يد الغيب تلازمه بما يحيّر العقول ، بحيث لم يبق بيت في هذه الدولة إلاّ وقال : الموت للشاه . فسار واضعاً روحه على كفه ، مصغياً من أجل الإسلام والقرآن وتبليغ الدين الحنيف ، واستعدّ للشهادة . والله سبحانه وتعالى خلق فيه قوة غريبة لم تعط لأحد غيره ، لقد تميز بالجرأة والشجاعة والبصيرة .

وهو كجده علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد سمعتم قصة عمر بن عبد ود ، كيف كان يختال أمام المسلمين ويجعلهم بكلماته كلقمة واحدة يوم المعركة . فاستصغرهم واغترّ بقوته وشجاعته . وكان الصحابة يرتجفون وقد امتقع لونهم وهم يرون أنفسهم لقمة لسيفه . وظل يطلب المبارزة والقتال ، ويقول : إلى متى أظل أطلب المبارزة ، أنتم الذين تعتقدون أنكم إذا قتلتم تدخلون الجنة ، تعالوا أدخلكم الجنة . حتى أجاز الرسول ﷺ لأمير المؤمنين بعد تكرار الطلب . وكان لذلك اللعين ثمانون سنة من العمر في حين لم يكن أمير المؤمنين قد تجاوز العشرين . ومع هذا صرعه بضربة واحدة ، حيث صارت « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين » . مثل تلك الجرأة التي أعطاها الله لأمير المؤمنين كانت أيضاً عند ابنه . وكل هؤلاء المستكبرين اليوم أمثال عمر بن عبد ود يصرخون ويطلبون المبارزة بهدف اخافة الإمام ، ولكنهم لن يصلوا إلى مبتغاهم لأن الخوف لا يتطرق إليه أبداً . . . أية شجاعة هذه التي أعطاه الله إياها . حفظه الله من عين السوء .

ومثال هذا الإنسان نادر ، قل نظيره ، بل لا نظير لـه . ختم الله عاقبته بخير وحقق له ما يصبو إليه ويتمناه . وعلى الأمة الإسلاميـة في إيران أن تقدّر هذه النعمة الإلهية العظيمة ولا تقصر في اتباعه بـالنفس والمال واليد واللسان ، وبكل ما تستطيع من قوة ، ولا يتعرض له أحد لا سمـح الله بواسـطة الأفكار الشيـطانية فهـذا ظلم عـظيم ، حيث أن حساب ذلك البهتان مع الكرام الكاتبين . فالدفاع عنه دفاع عن الرسول سيـد المرسلين ودفـاع عن الأئمة الأطهـار . وهو دفـاع عن الحجة بن الحسن عجـل الله فـرجـه ، والتقصيـر بحقــه تقصيـر بحقهم ، وعلى الجميع أن يلتفتوا إلى هذا المعنى ، فيمدوه بقـدر ما يمكنهم بـالنفس والمال والقلم .

في رحلة قمنا بها إلى همدان ، زرنا المرحوم تقي الخوانساري (وهذا قبل وفاته) ، ثم ودّعه الإمام ورجع إلى قم ، وبقيت أنا عنـده حتى وفاته . وعندما نقلوا جنازته من همـدان إلى قم ، كان قـد حضر بعض علماء قم لاستقبال الجنازة وكان بينهم الإمام . لم أر في حياتي رجلاً يبكي مثل السيـد الخميني ، كانت كتفـاه تهتزّان ودمـوعه تسيـل وتنهمر بشكل لم أعهده فيه حتى أنه لم يبك هكذا على أولاده . مع أنه لم يكن بينـه وبين المرحـوم أي نسب وإنمـا كـان هنـاك فقط الـرابط الديني . كان السيـد الخميني من أهـل البكـاء ! هذا الـرجل الـديني حاضر دائماً . . حاضـر لأجل الشهـادة . . . وذكريـاتي معه لن تمحى أبداً من مخيّلتي . .

اللهم أحشر السابقين مـع الأئمة الأطهـار ، وأطل بعمـر الأحياء منهم .



آیۃ اللہ الجوادیؒ الآملی

عندما تركت الحوزة العلمية في طهران إلى قم المقدسة ، كـان بحث الإمام (قده)، في أصول الفقه محضـراً لفضلاء الحـوزة. وبما أن الإمام كان قوياً في الحكمة (الفلسفة الإسلامية) فقد كان يحلل مسائل علم الأصول ـ وهو علم يعد من العلوم الاعتبارية وهو مزيج من القواعد العقلانية والقضايا العرفية ـ بقوة فولاذية إلى درجة أن قوله فيها لـم يكن أدنى من الحد القطعي المؤثر في العلوم الاعتبارية ، فالحكيم القـوي و (الإنسـان الكامـل) يتكلم بقوة ، فكـان يتحدث في الأصـول كمـا يتحدث في المعقول (الفلسفة الإسلاميـة) ، ولم يكن يسمح بـاتخاذ قرار في مسائل علم الأصول على أساس الاعتباريات الموهومة ، وإنما كان يتكلم بقوة ومتانة كاملة ، ولسان كل إنسان ـ كمـا قيل ـ تـرجمان عقله ، والكلام القوي المحكم دليل على حكمة قائلة .

وكانت سيرة الإمام (قده) في تربية التلاميذ تبتني على إعطائهم الحرية والاستقلال في اتخاذ الآراء وتبنّيها ، هذه السيـرة التي انتهجها هو بنفسه أيضاً .

وكـان يسعى بجد لانتقـاد مـا يحصـل للبعض من الأنس بعـوام الناس حيث يعدون الـوصول إلى بعض المنـاصب الدنيـوية نـوعاً من

النبوغ والكمال . وكان يستنكر هذا المسلك في دروسه بصورة عامة وفي المواعظ في نهاية الدروس بصورة خاصة . ذلك أنه نفسه لم يكن يوماً يفكر بالاقتراب من الأثرياء والمكتنزين أو أن يقربهم إليه ليحصل بذلك على الموارد المالية .

إن شطراً كبيراً من تقوى الإمام كان في حريته واستقلاله الفكري ، ولم يكن ليفرح أبداً أو يحزن من إقبال الطلاب إليه أو إدبارهم عنه ، وأولئك الذين كانوا يواظبون على الحضور في مجالسه ، كانوا مغرمين مفتونين بقوة نفسه ، واستقلاله وحريته وروحه الفياضة الحكيمة ، فضلاً عن مقامه العلمي الشامخ .

كان يعظ طلابه في كل عام عدة مرات : في نهاية السنة الدراسية ، وبمناسبة إقبال شهر رمضان المبارك أو أيام شهر محرم الحرام أو العطلة الصيفية . وكانت عظاته دروساً عالية ، وإذا كنا نسجّل دروسه الرسمية ، فقد كنا نسجل أيضاً تلك الدروس والمواعظ ، لأنها كانت مفيدة جداً ، تخرج من نفس قوية عالمة . كانت تلك الكلمات ذات حسن ذاتي لأن الكلام كان مبرهناً عليه ، وذات حسن فاعلي لأن القائل كان حكيماً عالماً ، يفهم ويؤمن بما يقول ولذلك كان كلامه مؤثراً جداً .

لم يكن يقع تحت أي خداع ، وكذلك لم يكن يعطي لأبنائه من القدر أكثر من اللازم الضروري ، فالمرحوم آية الله السيد مصطفى الخميني (رض) كان يتمتع بمقام علمي مسلم به لدى فضلاء الحوزة ، ومع ذلك لم يكن ليفتح له حساباً أكثر من الحد الضروري اللازم ، ولم يكن يسمح لأحد أن يتدخل في أعماله الخاصة حتى ابنه

المرحوم . كانت هذه السيرة المستقلة والكريمة تجتذب إليه قلوب الطلاب .

لمّا بلغ الأمر إلى ارتحال آية الله العظمى البروجردي (رض) ، وحصل بعده فراغ وخلاف ، كان هذا الحكيم الإلهي والفقيه والأصولي الديني الكبير يسعى إلى ملء هذا الفراغ بالأخلاق الإلهية والابتعاد عن مثل هذه الأمور دون أن توجد فيه دواعي المرجعية العامة .

لقد جاءت إليه هذه المرجعية خاضعة من دون أن يكون له أدنى التفات إليها .

كانت المراجع بعد ارتحال آية الله العظمى البروجردي تتعهد بإنجاز الأمور المالية لطلاب الحوزة العلمية ، وكان هذا الفقيه الكبير يشتغل بالتدريس وتهذيب النفوس إلى أن وقعت أحداث انتخابات لجان المدن والولايات والتي كانت من تخطيط الاستعمار ، متضمنة لدعوى المساواة بين الرجل والمرأة وتحريرها ، والتي كانت في الواقع ترسم عبوديتها وإذلالها ، ومن ذلك اليوم بدأت طلائع النهضة .

كانت المجالس تعقد ويحضرها مختلف العلماء فيصدرون بيانات مشتركة ، ولكن كان لذلك السيد المحتجب أسراراً أخرى ، وكان لذلك العارف بالأسرار الإلهية حسابات خاصة ، فقد كان يبدو من مواجهته للمشكلة ، أنه كان يعالج جذور الفساد .

أذكر يوم أبرق بعض مراجع الدين في قم المقدسة إلى الشاه المقبور يطلب منه إجبار حكومته على التخلي عن الانحراف عن الشريعة ، فأجابه الشاه : نحن نسأل الله تعالى أن يوفقكم لإرشاد العوام . عندئذ نهض الإمام وقال في بيانه العام :

« حيث أنك طلبت وسألت التوفيق لمراجع الدين في إرشاد العوام ، لذلك فإنني أتقدم إليك وإلى حكومتك بهذه المذكرة . . . » مما يعني أنك أيها الشاه من عوام الناس ، وعلينا أن نذكرك ونهديك !

أجل ، فإضافة إلى أننا كنا نستبعد قيام الآخرين باتخاذ مثل هذه المواقف الجريئة ، فإن قراءة هكذا بيان . كانت مما يدخل الرعب في النفوس .

وقبل حوالي ٢٧ سنة ، تجاوزت حركة النهضة بشكل تدريجي حدود البيانات والبرقيات والمراسلات البريدية والشفهية والإرشاد والنصيحة و. . . حتى جاء يوم الخامس والعشرين من شهر شوال ، فأثيرت في المدرسة الفيضية وفي ذكرى شهادة الإمام الصادق عليه السلام ، تلك الفاجعة التي لا تُنسى . على أيدي مرتزقة النظام البهلوي المنحوس حيث شتم وضُرب الطلاب وجرحوا وقتلوا ، ولما رأى الآخرون تلك الفاجعة المرعبة التزموا الصمت . ولكن الإمام قام مواجهاً السلطة الحاكمة وقال لهم : « لقد بيضتم وجه جنكيز خان المغولي! » وكان لهذا البيان أثراً عظيماً في بث الروح المعنوية في الحوزة العلمية وفي كل إيران .

لقد أحيى النفوس ، وفي ظل إحياء النفوس أحيى العلوم الإلهية ، فأيّده الله بإمداداته الغيبية ، ونزع خوف الموت من نفوس الطلبة ، خوف السجن والقمع ، خوف النفي والحرمان والتبعيد من الحوزات العلمية ، بل أنه أخاف الخوف لئلا يتسلل إلى الحوزة العلمية ، وأرعب الرعب لئلا يتوغل إلى قلوب أولياء الله ، وحقق تعاليم المدرسة القرآنية القائلة : « ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا

هم يحزنون » . بسيرته البرهانية والعرفانية لم يخف ولم يخوّف ، ولم يهب ولم يهيّب .

وكان من جانب آخر أناس يخافون ويخوفون ، ينـزوون ويلقنون الآخرين ذلك ، ولكن الإمام تقدم ودعا الناس إلى نزول ساحات الوغى دون أن يخاف أحداً وكان يقول : لا تخافوا ، فالإنسان مخلوق لكي يصل إلى لقاء الله ، فما أجمل لو لقي الله شهيداً ! .

هو الذي بث هذه الروح والحياة في الحوزة العلمية ، فأخرج القرآن الكريم من المهجورية إلى المشهودية ، وحرّر السنة وأخرجها من السر إلى العلن وعرّف الدين المهجور وقدم للناس الأحكام الإلهية ونفذها تحت ظل الحكم الإلهي والحكومة الإلهية ، حاملاً جوهر العلم بيد والسيف بيد ، فأضاء بجوهر العلم الحوزات العلمية ونور الشعب الإيراني وسائر المسلمين في العالم ، ودافع بسيفه عن هذه الجوهرة . لقد أحيى في النفوس الشوق إلى الشهادة وأثبت للجميع بأن النفس هي الفداء للدين وأن الدين يستحق أن يضحي الإنسان بنفسه لأجله .

لقد ثبت في النفوس قضية الشهادة والاستعداد للإبعاد والسجن والجهاد في سبيل الله ، سواء على مستوى الأساتذة والمدرسين الكبار أم على مستوى الفضلاء أو سائر طلاب العلوم الدينية .

كان الإمام يرى أن رسالة الحوزات العلمية في أيام شهر رمضان المبارك وشهر محرم الحرام هي في السعي لنشر الأحكام الإلهية لإنقاذ الشعب الإيراني المستضعف من الأخطار المحدقة به ، وكان يبين خطر الصهيونية في مقالاته وكتاباته . ويقول :

« ما دام هذا الخطر موجوداً ، فالإسلام في خطر من الزوال والفناء ، ولا يحيى إلاّ إذا أزلنا هذا السم المميت من البلاد الإسلامية » . وكان يؤكد ارتباط النظام البهلوي بأمريكا والصهيونية ويقول : « ما دام هذا النظام موجوداً فإن الشعب لن ينجو من الأخطار ولن يصلح ويصل إلى الكمال » .

وأيقن المسلمون بأن عليهم أن يجددوا حياة الإسلام ، وعليهم أن يذوبوا ويصبحوا سائلاً ينفذ إلى جذور شجرة الإسلام الذابلة ليتصاعدوا معها مرة أخرى . فالماء لا ينفذ في التراب ويفنى ، وإنما ينفذ إلى جذور الشجر ليخضرّ ويزهو ويعلو ويظلّل . فكان الإمام يقول : « إن دماءكم تنفذ في جذور شجرة دينكم لتتصاعد معها مرة أخرى ، كما قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ . وإن ثاركم ودماءكم ـ وهي دماء دين الله ـ لا تذهب هدراً ، ذلك أنكم ستحيون بدمائكم ، وأن عوض دمائكم هو لقاء الله تعالى ، وسيحيى دين الله بدمائكم وتبقى بركاته .

لقد أحيى ـ قده ـ في الحوزة العلمية هذه الفكرة ، فانبعثت الحياة فيها ، وأصبحت سيرة الحوزة سيرة الشهادة وطلبها والجهاد في سبيل الله تعالى وأصبحت مسيرة الحوزات العلمية مسيرة الثورة الإسلامية .

لقد كانت أرقام الجرائم الأخلاقية في كل من شهري رمضان المبارك ومحرم الحرام تشهد انخفاضاً ملحوظاً ، في حين أن عدد السجناء السياسيين كان يتصاعد فيهما . كان هؤلاء السجناء يبدأون أيامهم في السجون ، وكذلك المبعدون والمنفيون والممنوعون عن الخطابة والكتابة . وهكذا صان هذه البلاد شهر رمضان المبارك « شهر

رمضان الذي أنزل فيه القرآن » وكذلك شهر محرم الذي أريقت فيه دماء أبي عبد الله الحسين عليه السلام . وفي الحقيقة ، فقد صان البلاد هذان الأصلان اللذان قال عنهما رسول الله ﷺ : « **إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي** » وكانا يتطلبان ناطقاً عنهما ، فكان القائد الأكبر لهذه الثورة الإسلامية الإمام الخميني (قده) الناطق عن القرآن الكريم والسنة والعترة الطاهرة حيث أخرجهما من الهجران والغربة .



ممثل الإمام وإمام جمعة شيراز

آية الله الحائري الشيرازي

كان دأب الإمام قدس سره قبل سنة ١٣٤٢ هـ. ش (قبل ٢٦ سنة) أنه كان يخصص اليوم الأول من بداية الدروس ويوم الختام للمواعظ والنصائح والإرشادات والتوجيهات الأخلاقية ، وكانت مواعظه تختلف عن مواعظ الآخرين . فقد كان يتكلم بصورة عادية ، ولكن الحضور كانوا يبكون بحيث تتبلل صدورهم من دموعهم ، كان يقلب القلوب حتى في المواعظ العادية ، بحيث أن بعض الحاضرين كانت تعتريه حالة الإغماء ، أو يكاد ! وكان هذا الأثر يتكرر من كلامه في مجالسه الأخلاقية في السنة ثلاث أو أربع مرات ، هذه كانت بداية تعرفنا عليه حيث اكتشفنا عالماً باطنياً وقلباً نورانياً عجيباً .

قبل تلك المدة كانت عادة العلماء أنهم يجعلون ناطقاً رسمياً عنهم لكن الإمام كان يتكلم بنفسه ويخطب ولا يجعل أحداً يتكلم باسمه ، فيصدر البيانات ويخطب ضد الجهاز الحاكم (ولم يكن يفعل أحد مثل هذا) .

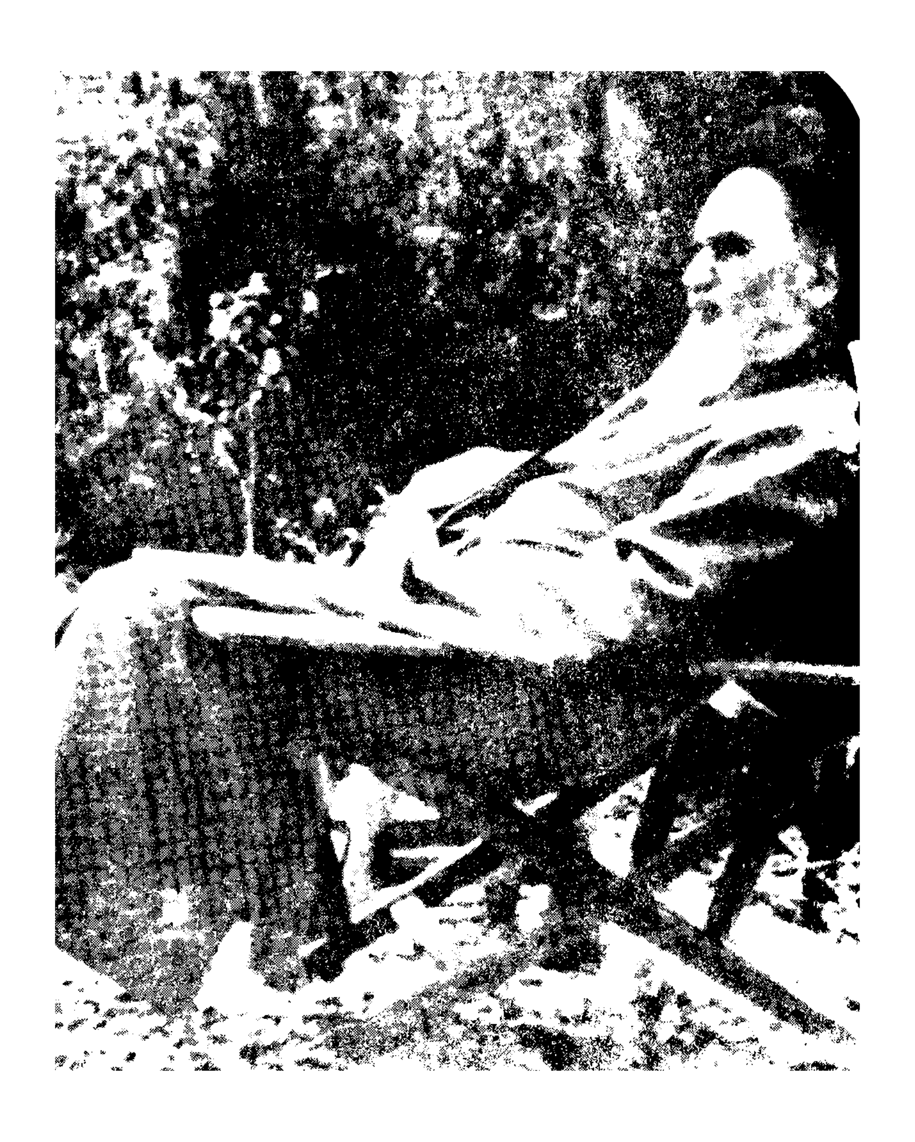
كانت الدولة الطاغوتية تحاول أن تعزل الإمام عن بقية المراجع ، وكنا نرى أن غيره منهم لو كان يستطيع أن يقوم بشيء . فإن ذلك كان بواسطة نشاط الإمام ، ولذلك كنا نرى الفارق الكبير بينه وبين

الآخرين ، ولهذا سعينا أن نرجع الناس إليه ، فلا تتمكن الدولة من جعله تحت نفوذ وشعاع الآخرين . رأينا هذا واجباً وتكليفاً مع الحفاظ على حرمة الآخرين وكرامتهم .

وجود الإمام بالنسبة لي كان أمراً حياتياً أكثر من كل شيء وهذا لأن نظرياته كانت تبدل نظام القيم عندي ، فكانت آرائي وأفكاري التي حملتها منذ طفولتي وواجهت فيها العديد من العلماء ، حينما كانت تصطدم بآراء وأفكار الإمام تنقلب ، بحيث أن كل فكرة كانت لا تتفق مع نظريته أخطئها .

ولو لم يكن للإمام دور في حياتي لكان من المحتمل أن أكون ضاراً بنفس النسبة التي أنفع فيها اليوم . فليس بين النفع والضرر فاصل كبير ، فمن يعمل برأيه (يستبد به) يكون مضراً ولا ينفعه جميع ما لديه من العلوم والمعارف ، كما ورد في الحديث « هلك من لم يكن له حكيم يرشده » .

وأذكر في هذا الخصوص أنني كنت أمتلك نظرة أخرى إلى « الفلسفة » قبل أن يدافع الإمام عنها ، كنت أرى الفلسفة الارسطوئية قبال مدرسة الأنبياء ، وأن الفلاسفة المسلمين قد بينوا هذه الفلسفة ببيان إسلامي محتفظين بأصول تلك الفلسفة السالفة . فكانت هذه الفلسفة عندي تنظر إلى العالم بغير نافذة الوحي . ولكن حينما دافع الإمام عنها وقال : « لماذا تردون الفلسفة وأنتم لا تعرفونها؟ » أنقذني هذا الموقف الدفاعي من تلك النظرة السابقة إلى أصول الفلسفة اليونانية الأرسطوئية الإسلامية .



آية الله ابراهيم الأميني

لقد كان لي طوال مدة تحصيلي للعلوم الإسـلامية في أصفهـان وقم أساتذة أكن لهم فائق الإخلاص والتقدير لجهودهم ، ولكن بالنسبة لبعضهم أكن المـزيد من الحب والتقـدير من صميم قلبي ، من هؤلاء كان المرحوم الحاج الشيخ محمد حسن النجف آبادي وحضرة الإمـام (قده) وحضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه . لقد كان ارتباطي وتعلقي بهؤلاء كبيراً جداً . أما علاقتي بالإمام فترجع إلى ذلك الوقت الذي أتيت فيه إلى قم في بداية تحصيلي ، وحضرت درسه في الأخلاق ، وما زلت أذكر عندما كنت في أصفهان مدة ست سنوات كيف كنت أتمنى أن آتي إلى قم وأستفيد من محضره . وسبب تعلقي هذا هو تلك الخصائص الأخلاقية والروحية للإمـام التي جعلتني مجذوبـاً إليه دوماً .

إن الخصائص الأخلاقيـة ودرجة الإخـلاص والإيثار والاستقـامة والثبات والصفاء الباطني للإمام ليست خافية على أحد من الإيرانيين في هـذا الزمـان وحتى على الكثير من غيـرهم ، ولعل الكثيـر من النـاس يعرفون عن الإمام أكثر مما أعرفه ولا يحتاجون لأي توضيـح . ولكنني هنا أود أن أشير إلى بعض الجزئيات من حياة الإمام قبل أن يصل إلى مقام المرجعية والقيادة لعل ذكرها يكون مفيداً .

محاربة الهوى عند الإمام :

إحـدى خصائص الإمـام هي محاربـة الأهـواء النفسيـة والسعي للوصول إلى الإخلاص ويمكن أن يستفاد في هذا الموضوع من بعض أعماله . فعلى سبيل المثال معاملته مع تلامذته كـانت عادلـة لدرجـة أنه لـم يكن يظهر محبة لأحد على حساب الآخرين أو يفـاضل بين طـلابه القـدماء والجـدد ، بل حتى أنـه لم يكن يرجـح طـلابـه على طـلاب آخرين .

كان الجلوس معه من آنس الأشياء إلى نفسي ، وكنت أُعتبر من محبيه وتلامذته ومريديه . أمّا تصرّفه معي فكان مثل سـائر الـطلاب ، وكان تعامله عاديّاً وطبيعيّاً ، وكنت أعد هذه الصفة من الصفات الجميلة التي لم تكن فقط باعثة على عدم انزعاجي إنما زادتني حبّاً له . وهي صفة لم تكن عند الكثير من الأساتذة .

ولأنني كنت من محبّي الإمام فقد كنت أحب أن أقرّب الفضلاء منه وأجذبهم إليه وكان بودي أن تنشأ علاقة بين هؤلاء والإمام . وكنت كلما عرضت عليـه ذلك امتنـع واعتذر ، فقلت لـه مرة : « إن (ذلـك الفاضل) يقيم في منزله مجلساً للعزاء يوم الخميس » فقال لي : « ليس عندي فرصـة لذلـك » ، في حين أن الإمام كـان يحب مجلس العزاء كثيراً ويشارك حتى في المجالس العادية .

عنـدما كـان يأتي أحـد العلماء الكبـار إلى (قم) من المنـاطق الأخرى ، كانت العادة أن يذهب المراجع والعلماء للقائه . أما الإمام فلم يكن يذهب سوى إلى من يعرفه ، وإذا عـرضنا عليـه زيارة من لا يعرفه لم يكن يقبل . في أحد الأيام قلت له : « أليس التـزاور وإظهار المحبة للآخرين والعشرة من الأخلاق الإسلامية ؟ قال : بلى ، قلت :

ألا يجب أن نعمل بهذه الأخلاقية ؟ فقال : بلى ، فقلت له : نحن ننتظر منكم الأخلاق الإسلامية لا لأجل الناس والرياء ، بل في سبيل الله ، فقال : نعم ، صحيح ، يجب أن أكون هكذا ، ولكن ماذا أفعل مع النفس الأمّارة .

لعل البعض كان يحمل هنا التصرف للإمام على أساس التكبر ، ولكنني أذكر في تلك المدة التي مرضت فيها ولازمت فراشي في مدرستي « الحجتية » لمدة شهر واحد ، كيف كان الإمام يأتي لعيادتي مع أحد الأصدقاء في كل يوم أربعاء ، ولم أكن أنا سوى طالباً مغموراً .

إجتناب الجدل والمناظرة عند الإمام :

إحدى صفات الإمام كانت الاجتناب عن المناظرة والجدال وحب الظهور في حين كانت هذه الصفة عند الكثير من الطلاب والعلماء مسألة عادية ، بل تعتبر من الملكات النفسية وخاصة حينما يحقق النصر على المجادل والمناظر في المباحثة . بالطبع إن مثل هذه المباحثات تكون جيّدة إذا كانت خالصة لإظهار الحق ، ولكن عندما تصبح مضماراً للتظاهر وإبراز القدرة الذاتية فإنها تجر الإنسان إلى المهالك الكبرى .

كان الإمام في المباحثات العلمية رجلاً كاملاً من أهل البحث والتدقيق ، وكان يدرس المسائل والمطالب بشكل دقيق ويجيب على الإشكالات ، ولكن عندما يتخذ البحث صورة الجدال والتظاهر كان الإمام يلزم الصمت والإصغاء ولا يجيب إلاّ إذا سئل .

وأذكر ذات يوم عندما ذهبت برفقة الإمام لزيارة أحد أصدقائه الذي كان يتهيأ لزيارة العتبات المقدسة في العراق ، وخلال الحديث قال الإمام له : « أنتم ذاهبون لزيارة العتبات المقدسة ، والحوزة في

النجف مكان المباحثات بين الطلاب ، من الممكن أن الذين سيأتـون لرؤيتكم سوف يبدأوا بالمباحثة والمناظرة . فانتبهوا من أن تمنعكم هذه المبـاحثات عن الـزيارة ، فتصبـح كـل الزيـارة في الذهـاب والإياب واللقاءات ، فأنتم عندكم هدفٌ آخر » .

كنت أحضر دروس الفقه والأصول عند الإمـام ودروس الفلسفة عند العلاّمة الطباطبائي . وكانت تربطني مع الاثنين علاقة قوية . كنت أحب أن أعـرف أيهما أقوى في المجـال الفلسفي ، وأتحين الفـرصـة المناسبة لذلك، إلى أن جاء يوم ودُعي فيـه كل منهمـا إلى مجلس عزاء في المـدرسة الحجتيـة . في الوقت المعيّن حضـر الإمام والعـلاّمة . فأتتني الفكرة لتحقيق مـا كنت أنتظره . وعنـدما جلسـا طرحت مسـألة فلسفية ، فاستمع كل منهما ، ولكنهما بقيـا صامتين ، ثم بعـدها نـظر العلامة إلى الإمام ، فتبسم الإمام ، وبهـذا التبسم عهد الجـواب إلى العلاّمة ، فشرع العلامة بالإجـابة على السؤال ، وكـان الإمام يستمـع دون أن يقول شيئاً ، وبتعبير آخر ، لم ينشب نزاع المناظـرة . بعدهـا سألت الإمام سؤالاً فلسفيّاً آخر ، فنـظر نظرة مؤدبـة إلى العلامـة وبدأ بالإجابة . وكان العلامة ينصت بشكل كامل إلى الإمام ولكنـه لم يقل شيئاً وظل صامتاً . على كل حال لم أستطـع في ذلك الوقت بأي شكل من الأشكال أن أجر هذين الأستاذين العظيمين إلى المباحثـة وكأنهمـا كانا على اطـلاع بما كنت أريـده . وكان ذلـك اليوم بـالنسبة لي يـوماً جميلاً .

أستطيع أن أقـول جازمـاً بأن الإمـام في كل حيـاتـه لم يـطلب المرجعية والرئاسة . فبعد وفـاة آية الله البـروجردي بـدأت النشاطـات والتحـركـات من أجــل رئـاســة وإدارة الحـوزة وذلــك للوصــول إلى

المرجعية، وكان طلاب ومحبو كل عالم يسعون إلى تعـريفه وإبـرازه بين الناس بصفة أنه بعد المرحوم البروجردي ، ونحن أيضاً كنا نميـل إلى تعريف الناس بالإمام . أمّا هو فقد كان مخالفاً جداً لمثل هذه الحركات والأعمال ولم يكن مستعداً أن يتحرك في هذا المضمـار . وفي تشييع الجنـازة اشتـرك بشكـل عـادي مثـل أي فـرد . ولم يكن يـذهب إلى المجـالس التي كـانت تعقـد لقـراءة الفـاتحـة عن المـرحـوم آيـة الله البروجردي إلاّ وحيداً ويجلس في زاوية المجلس ، حتى أنه امتنع عن المشـاركة في بعض المجـالس وكان مصـرّاً على عدم إجـراء مجلس للفـاتحة في منـزلـه ، ولكن بعـد إلحـاح شـديـد ؛ وبنـاء على بعض المصـالح الضـروريـة وافق على إقـامـة مجلس شـرط أن يكـون بعـد الآخرين . وفي مسألة إدارة الحوزة وتعهد شهريـة الطلبـة، وقف جانبـاً، وكان يقول : « الحمـد لله ، يوجـد آخرون ، وأنـا أستمر في الـدراسة والتدريس » . أمّا بعد بدء المواجهة ، ذهبت وآية الله المنتظري وأحد علماء طهران إليه ، واقترحنـا عليه أن يقـوم بتعهد حقـوق الطلبـة مرة ثانية ، وبعد إصرار وإلحاح شديدين وافق على ذلك .

الهم الوحيد هو الإخلاص لله :

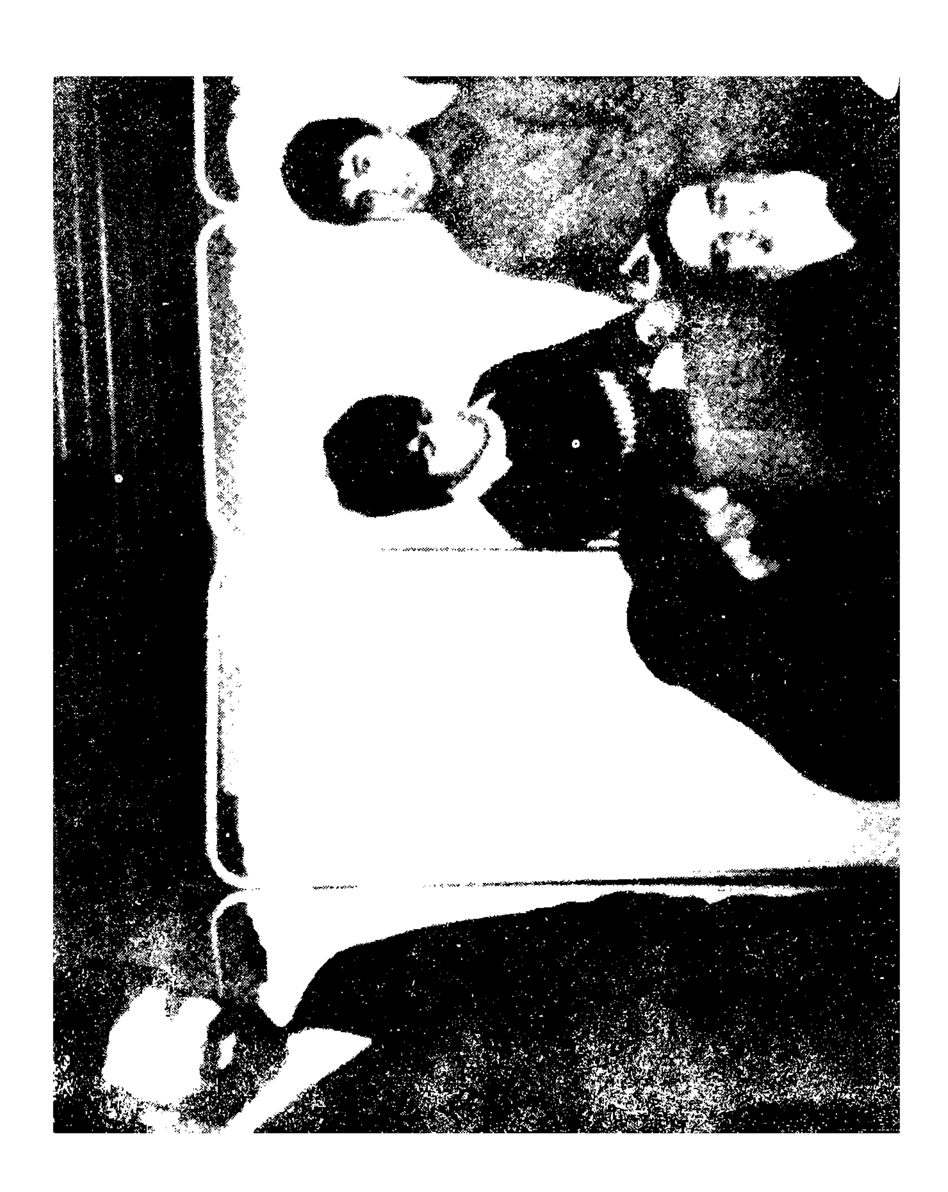
إحدى العادات التي كانت قائمة في الحوزة وبين المراجع على وجه الخصوص تشكيل مجالس الاستفتاء ، لأجل الإجابة على الأسئلة بحضور بعض الفقهاء . أمّا الإمام فلم يكن عنده مثل هذه الجلسة التي كنا نرغب أن يجريها لأن ذلـك من شؤون المرجعيـة . وباعتبـارنا كنـا نعـرف تمامـاً أن الإمام لن يقبـل بأي وجـه من الوجـوه أن يقيم جلسة الاستفتاء ، لذا قلت له في أحد الأيـام إن هناك مجمـوعة من الفقهـاء والفضـلاء الـذين كـانـوا يحضـرون درس آية الله البـروجـردي سـابقـاً

قد حرموا من الاستفادة من مثل هذا الدرس مما يؤثر على تقدمهم في الدراسة وأنهم لهم دور مفيد وضروري للحوزة في المستقبل ، فلو أنكم تجيزون لنا أن ندعوهم لكي يأتوا عدة مرات في الأسبوع إلى منزلكم لطرح المسائل والمشاكل الفقهية أمامكم ، وأنتم أيضاً تستطيعون أن تطرحوا هذه المطالب في الدرس العام . وقد كان كل مقصدي من ذلك هو تلك الجلسة الاستفتائية التي لم أذكرها على لساني لئلا يرفض الإمام . وما أن انتهيت من الكلام حتى نظر إليّ الإمام وقال: «سيد أميني، لم أكن أتوقع منك هذا، كنت أنتظر أن تقول لي أنني أصبحت عجوزاً واقترب أجلي وأن أفكر بالله وبيوم القيامة وأن أصلح نفسي وأجاهد نفسي الأمارة . والآن جئت تقول لي هذا . أنا لست بحاجة إلى جلسات الاستفتاء ، وإذا سألني أحد فأنا أجيبه بنفسي » .

ومن هذا القبيل رأيت الكثير من الإمام ، وهذه الأمور وإن كانت جزئية وصغيرة ولكنها تدلنا تماماً على أن الإمام شديد المراقبة والانتباه لذاته ولا يدع مجالاً للميول والأهواء النفسية أن تتغلب عليه وهمه الوحيد هو الإخلاص لله تعالى ، لهذا فإن حبه قد غُرس في أعماق نفسي وروحي .

في الختام أروي هذه الحادثة عن الإمام ، وهي تتعلق بالهجوم الوحشي الذي قام به عملاء النظام البهلوي المنحوس على المدرسة الفيضية . في ذلك اليوم كنت في المدرسة ورأيت أن الوضع غير عادي ، فخرجت من وسط المجلس وذهبت إلى منزل الإمام حيث كان هناك بعض الطلبة يتحدثون عن الأجواء داخل المدرسة . ولم تمض دقائق حتى دخل أحد الطلبة جريحاً ليخبرنا عن الفاجعة التي حدثت في

المدرسة وكيف قامت المخابرات بقتل وجرح وضرب الطلبة . أحد الطلبة سأل الإمام أن يسمح له بإغلاق باب المنزل لئلا يتعرض لهجوم مفاجىء ، فأجاب الإمام على الفور : لا ، لا أجيز ذلك . فقال له أحد أصدقائه وكان جالساً إلي جانبه : إقتراح لا بأس به لو تجيزون له إغلاق الباب لأن إبقاءه مفتوحاً يعرض البيت لخطر الهجوم ، فقال الإمام : « قلت لا ، وإذا أصريتم على ذلك أخرج من البيت واذهب إلى الشارع ، إن تلك الضربات كان يجب أن تنزل على رأسي . . . ضربوا الطلبة ثم أغلق باب بيتي ؟! أي كلام هذا؟! ». ثم قام الإمام فتوضأ وصلّى جماعة في باحة المنزل وألقى فينا كلمة موجزة هزتنا من الأعماق . ومن جملة ما قال : « هؤلاء قد أنهوا حفر قبورهم إنهم بهجومهم على الفيضية وقتلهم الطلبة وجرحهم ، قد اقتلعوا جذورهم وفضحوا أنفسهم ، أيصير أن تحارب مدرسة الإمام الصادق (ع)؟! » . لقد كانت هذه الكلمات في مثل هذا الجو المرعب والمليء بالخوف والاضطهاد وسلطة السافاك الشيطانية في غاية الأهمية والحساسية ، ولم يكن أحد يجرؤ على التفوه بمثلها .



قبل ٢٥ سنة تقريباً كان مجيئي إلى قم بعد أن انتهيت من مرحلة الأدبيّات والسطوح في أصفهان، ومنذ ذلـك الأوان بدأت أحضـر دروس الأستاذ القائد دام ظله . ثم لم تمر عدة أشهر حتى أصبحت من خواصه ومريديه ، ولا بد من أن أقول بأن هذا كان من الألـطاف الجلية للحق تعالى ، لأن ما كنت أبحث عنـه وجدتـه . فقد كـان أستاذنـا العلامـة الطباطبائي رحمة الله عليه ينقل عن المرحوم السيد « القاضي » بأنه « لو تقضي نصف عمرك في البحث عن أستاذ لما كان هذا كثيراً » . وأنا قد تحقق لي هـذا من السنة الأولى التي جئت فيهـا إلى قم ، وأحمد الله تعالى أنني صرت حينها تلميذاً عند أساتذة مثل الإمام القائد والعلامـة الطباطبائي .

لا يمكنني أن أكتب عن مميزات وخصائص أستاذي العظيم قائد الثورة المباركة سوى القليل ، ولو قلت إن هذا قطرة من بحر فضائله لما كنت مخطئاً .

الاحتراز من المحرمات :

طوال مدة الـ ١٢ سنة التي حضرت فيها دروسه ، لم أر منـه أي عمل مكروه وكنت أرى فيه حالة الاضطراب بوضوح عندما تحصل أمامه

شبهة مراء أو جدال أو غيبة أو كذب . وإنني لا أنسى ذلك اليوم عندما حضر الإمام إلى الدرس وقد كانت أنفاسه مضطربة وهو يلهث ، ولم يلق علينا الدرس حينها بل وعظنا وعظاً شديداً ثم ذهب . وكان أن عاودته الحمى المالطية ولم يحضر إلى الدرس لمدة ثلاثة أيام ، لماذا ؟ لأنه كان قد سمع أن أحد تلامذته قد اغتاب أحد المراجع .

التعاطف مع الجميع :

ينقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يعامل أصحابه معاملة يظن كل واحد منهم بأنه الأقرب والأعز لديه ﷺ . لقد كان الإمام مصداقاً لهذه السنّة الشريفة ، وكان في دروسه يعاملنا بطريقة مماثلة ، وكان همه الأكبر هو تربية الجميع بحيث تتفتح استعداداتهم العلمية . ولهذا فقد كان يقبل أي نوع من الإشكالات ويثني عليها .

إحترام علماء الإسلام :

ذات يوم سئل الوحيد البهبهاني ، ذلك العالم الذي له الفضل الكبير في علم الأصول ، من أين وكيف وصلت إلى هذا المقام ؟ فأجاب المرحوم العلاّمة : إذا كنت قد وصلت إلى مقام فذلك يعود إلى الاحترام الذي أكنه لفقهاء الإسلام وعلمائه .

وهذه الصفة العظيمة والبارزة ، دائمة التجلي في الإمام بشكل خاص ، وهو لم يكن يبدي الاحترام والتعظيم لأمثال الشيخ صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري فقط ، بل أنه كان يحترم ويجل كل علماء الإسلام ، وكان يقول بشأن آية الله العظمى البروجردي ويردد مرات : « أنه بهذا القدر من الكرامة والأفضلية يدير الحوزة العلمية ، لا بل عالم التشيع كله » . وكان يقول بشأن مؤسس الحوزة العلمية في قم آية الله السيد عبد الكريم الحائري : « إن عظمة هذا الإنسان كانت بقدر أنه

استطاع في ذلك الزمان الصعب ، حيث صمم الشاه رضا أن يبيد الحوزة العلمية والعلماء ، أن يحفظ الحوزات العلمية بل العلماء أيضاً ، وهذه أمانة أعطانا إياها لننقلها إلى الآخرين » .

تهذيب النفس :

إن دروس الإمام لم تكن فقط دروس تعلم وتعليم بل كانت دائماً تأخذ طابع التهذيب والتربية ، وبعبارة أخرى كان درسه مصداقاً لعمل رسول الله ﷺ : « يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. . . » . وكان أكثر ما يدهشنا في هذه الشخصية هو الناحية العملية للتهذيب ، وذلك التهذيب الذي وصّى به الإمام الصادق عليه السلام ، « كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم » .

وقد حضرت الكثير من مجالسه ، وأكثر ما كان يلفتني إليه هو حينما يُطرح في المجلس إشكال أو سؤال ما ، فيبدي الجميع آراءهم كلّا بحسب موقعه العلمي ، أمّا الإمام ، فإنه في مثل هذه المجالس يلتزم الصمت إلّا إذا كان وجّه السؤال إليه مباشرة ، فكان يجيب عليه ولا يزيد شيئاً أو يقول إن هذه وجهة نظري .

الحاكمية على القلوب :

يستفاد من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة (ع) أن محبة الأتقياء تُصب في القلوب وأن هيبتهم ترسخ في النفوس : « من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته » . وما لا يفارق مخيلتي هي هيبة الإمام التي كانت حاكمة على المجالس ، ومحبته التي رسخت في قلوب الجميع . وينقل عن عدي بن حاتم حول أمير المؤمنين (ع) : كان أمير المؤمنين أشدّنا تواضعاً ، ولكن هيبته كانت تأخذ بمجامع قلوبنا . ولقد

كنت وما زلت أرى في حفيد الأئمة الشجاع مصداقاً لكلام عدي بن حاتم ، فالولد سر أبيه .

التواضع :

كنت قد سمعت أنه كان لرسول الله ﷺ تواضعاً عجيباً رغم المقام العالي والمسؤولية العظيمة التي كانت بعهدته ، وهذا الأمر يتجلى بوضوح في الإمام فالتواضع الذي يُرى منه الآن في تعامله وطريقة خطابه واستماعه إلى الآخرين هو نفسه الذي كان عليه قبل الثورة أو قبل الوصول إلى المرجعية وقبل الوصول إلى هذا المقام .

التعبد بالظواهر الشرعية :

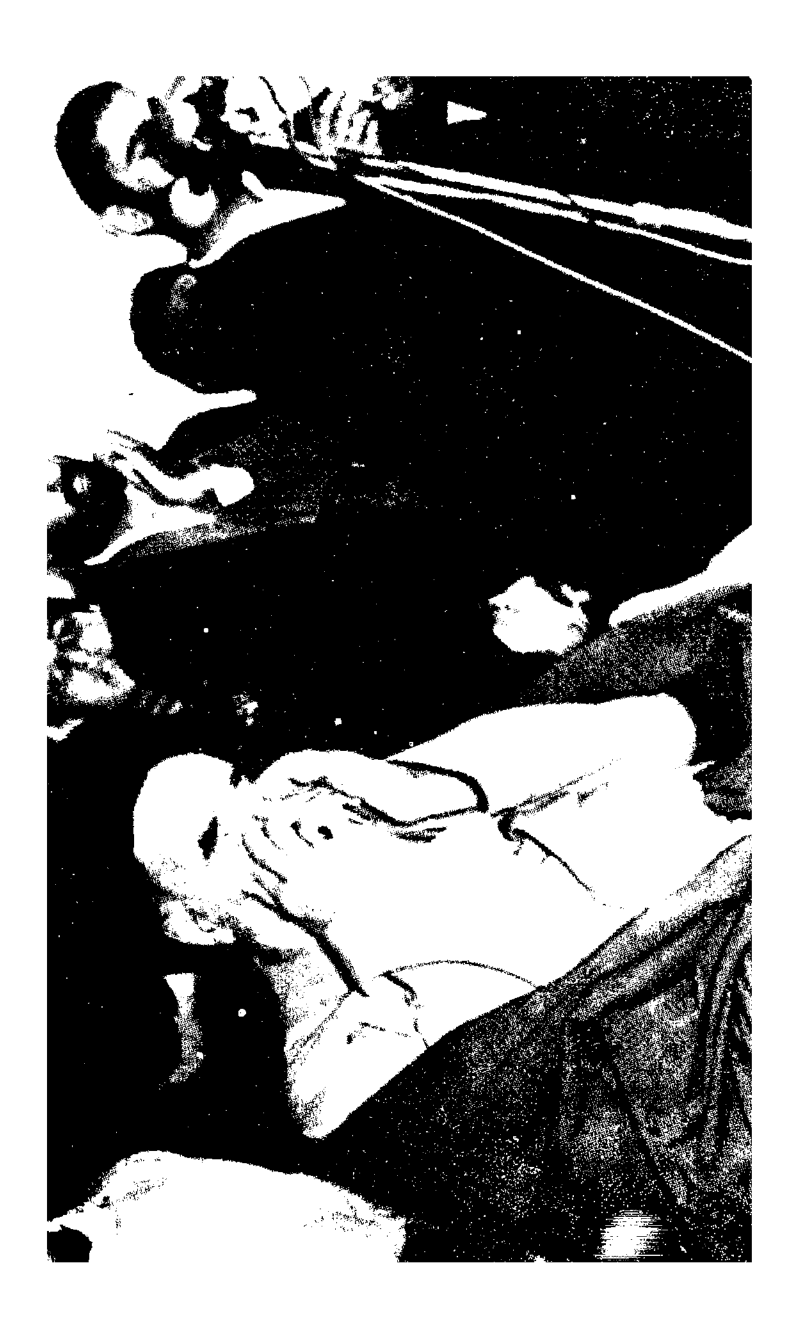
الجميع يعرف ما للإمام من عالي المقام في الفلسفة والعرفان ، ولكن ما يثير الدهشة هو جانب الروح التعبّدية بظواهر الشريعة . وهذان المقامان نادراً ما يتوافران في شخص واحد .

من كرامات المرحوم صدر المتألهين هو أنه عندما كانت تعرض عليه الشبهات أثناء تأليفه « للأسفار الأربعة » كان ينزل من الغار في جبل قم إلى حرم المعصومة (ع) طالباً حل شبهاته . وهكذا كان إمامنا العارف الفيلسوف ، فمن مميزاته العظيمة أنه طوال مدة عشر سنوات من إقامته في النجف الأشرف لم يترك زيارة حرم أمير المؤمنين ليلة واحدة .

وينقل عن ابنه الشهيد الأستاذ مصطفى أنه في أيام الاضطرابات التي حصلت في النجف الأشرف حينما كان الإمام مقيماً هناك ، أنه قال : قلت لوالدي : « إن أمير المؤمنين لا يعطي اعتباراً للزيارة من بعيد أو قريب . لو تقرأون هذه الليلة « الزيارة الجامعة » هنا في البيت

بدلاً من الحرم » . فقال الإمام : « مصطفى ، هذه الروح التي للعوام لا تأخذها مني » ثم ذهب بعدها إلى الحرم .

أستطيع أن أقول بأنني لم أر حتى الآن شخصاً أدرك « الولايـة » وأحاط بمقاسها مثل الإمام . وأنتم إذا راجعتم كتبه العرفانية وشروحه على الأدعية والروايات (كالأربعين حديثاً) سوف تجدون بشكل واضح إدراك هذا الإنسان لمسألة الولاية وإحاطته بعمق الإسلام عما يدرك الظمآن العطش .



إذا أردت أن أتكلم عن أخلاق الإمام وصفاته لما أمكنني ذلك ، ولما أدّيت حقه كما هو ، فهو رجل عظيم ، فذ ونابغ . إنما أحكي عن بعض المشاهدات التي رأيتها وأبيّنها حسب إدراكي ، وذلك حينما صاحبته في قم المقدسة والنجف الأشرف .

شجاعة الإمام :

أوائل النهضة ، كانت الحكومة تتحيّن الفرص لتبدأ بأعمالها الشنيعة . ذات يوم أشيع خبر إلقاء القبض على الإمام ، ولكنّا أحسسنا أن في الأمر شيئاً وأنه عمل من فعل رجال الأمن (السافاك) . فقررت وأحد أصدقائي الذهاب إلى بيت الإمام للمبيت عنده . ذهبنا بعد العشاء وجلسنا ، وحينما انتبه الإمام لمرادنا من التواجد هناك قال لنا : « إذهبوا » . قلنا له : « ولكن ليس لدينا أي عمل ، فقد أنهينا واجباتنا » . ومع ذلك أمرنا بالخروج .

وإحدى صفاته هي عدم مبالاته بالحكومة وعمّالها . فكانوا يأتون ويطلبون الإذن لزيارة الإمام فلم يكن يسمح لهم بالزيارات الخاصة ، وقال لي يوماً : « لا تأذن لهم بالدخول إلى البيت إلاّ في الوقت الذي يأتي فيه الناس ، ولا تجعل لهم وقتاً للمقابلة في غير هذا الوقت » .

وإذا حضروا لم يكن يقوم لهم ، وكان أحياناً يرفضهم . حتى أنه ألقى كلمة في بيته ذات يوم قال فيها : « وأمّا حكومة العراق هذه ، إن صح أن نسميها بالحكومة » . (هـذا الكلام في النجف الأشـرف) وكانـوا يهـددونـه بمـا يسبب الهَمْ لأصحـابــه ، فيقـول : « دعهم يفعلوا مـا يشاؤون » .

في إحدى المرات ، جاء وفد من الزعماء العراقيين لزيارة الإمام وكـان من بينهم المحافظ . فقـال لي الإمـام كي أذهب إلى المتـرجم الذي ترجم في الزيارة السابقة وآتي بـه ، حينما ذهبت إليـه خاف ولم يقبل بالمجيء في البداية . ثم جاء بعد ذلك واعتذر قائلاً : « منذ ذلك الـوقت الـذي جئت فيـه إلى هنـا للتـرجمـة ، أصبحـوا ينـظرون إليّ كالخنزير . . إن هذا الذي يريد أن يأتي لمقابلة الإمام ذو صفات . . » كذا وكذا (وبدأ يعدّ بعض الصفات الرذيلة للمحافظ) ، ثم طلب مني أن أحذّر الإمام من هـذا الشخص . فقلت له : « مـاذا تقول ؟! كيف أقول هذا للإمام ، وهو يخاطب رئيس أمـريكا من بيتـه ويقول لـه إنك أحقـر إنسان وأنـك منبوذ من المجتمـع . إن الـذي يخـاطب الـرئيس الأمريكي هكذا كيف يخاف من هؤلاء . لو نقلت له كلامك هذا فسوف يخرجني من البيت » ، حينما سمع المترجم كلامي ابتسم ضاحكـاً . بعد ساعة من ذلك دخل الوفد إلى بيت الإمام ، ثم حضـر الإمام إلى المجلس . في البداية أرادوا أن يسجّلوا الزيارة بـالصوت والصـورة ، ولـذلـك بـدأوا بتجهيـز الآلات ، ولكن الإمـام قـال لهم : « إجمعـوا هذه » ، فجمعوها كلها إلاّ آلة التصوير وقالوا : « نأخـذ صورة واحـدة فقط » ، ولكنه قال : « إجمعـوا » ، فجمعوا كـل التجهيزات ، وبعـد المحادثة خرجوا . بعد مرور عـدة أيام على هـذه المقابلة ، كتب في الجريدة التي كانت تطبع في كربلاء بأن الإمـام دعا لـوفد المحـافظين

حين استقبلهم ودعا للحكومة العراقية أيضاً عندما اطّلع الإمام على هذا الخبر طلب منّي أن أتصل بالقائم مقام ليأتي ، فاتصلت به بـالهاتف ، وعندما أتى قال له الإمام : « أنت حضرت المجلس ، ولم أقل شيئاً مما كتب في الجريدة ، قل للمحافظ بـأن يكذب الخبـر ، وإن لم يكذبـه فسوف أخبر المسؤولين في بغداد بأن يكذبوه . ولا تـأتِ إلى هنا بعـد هذا » .

كراهة الإمام للتبجيل وزهده :

عندما كان الإمام في تركيا كتب تحرير الوسيلة ، وبعد ذهابه إلى النجف ، طبع هذا الكتاب في إحدى المطابع . بعـد طبعه ، أخـذت نسخة للإمام من المجلّد الأول وقد عُرّف الإمام على غـلافه بـالألقاب الرفيعة . كان الإمام جالساً عندما أعطيته النسخة ، فلما رأى الغـلاف انزعج ورماه على الأرض وقال : « لماذا فعلوا هذا دون أن يخبروني ، يجب أن تمحى هذه الكتابات عن الغلاف » .

بعض أصدقائنا طبع صوراً للإمـام ، وعندمـا علم الإمام بـذلك طلب كل الصور ولـم يأذن لنا بإلصاق صورة واحدة على جدران بعض الأماكن . وفي يوم جاء بعض الأخوة الأنغانيين المتواجدين في النجف ليأخذوا صورة للإمام لتعليقها على حائط الحسينية التي كـانوا يقيمـون فيها احتفالاتهم ، ولكن الإمام لم يقبل أن يعـطيهم أية صـورة ، وبعد إصراري على هذا الأمر ، قال : « أنا أنهي الناس عن الدنيا وأقول لهم لا تتّبعوا الدنيا والهوى . . فهذا هو اتباع الدنيا وهذا هو اتباع الهوى » .

وفي المـرحلة الأولى للنهضـة ، حينمـا بـرزت قضيـة « الـولاة والولايات » في إيران ، أدّى صمود الإمـام بوجههـا إلى إبطالهـا وعدم تنفيذها ، فأنشد أحد أصدقائنا شعـراً في هذا المجال ومدح الإمام مبرزاً

نصره وفتحه . اقترح عليّ أحد الأصدقاء بأن نذهب بهذا الشخص إلى الإمام حتى نأخذ له بعض النقود . فقال الإمام : « ألأنه أنشد هذا الشعر ؟! لا ، لا يمكنني أن أعطيه مالاً » ، ورغم إصراري لم أستطع أن آخذ ريالاً واحداً من الإمام .

كان الإمام يدرس في مسجد سلماسي ، وكان يحضر درسه طلاب كثيرون بحيث لم يتمكن العديد منهم من الدخول إلى المسجد ، وكلّما كنا نصر عليه كي يغيّر المسجد إلى مكان أوسع . لم يكن يقبل ، مع أن إصرارنا لم يكن لطلب الشهرة له وإنما لضيق المكان ، ولكنه كان يقول للطلاب : « تقدموا وأوسعوا في المجلس ، يمكنكم أن تجلسوا جميعاً . . . » ، واستمر هذا الوضع على ما هو عليه حتى طلب الشيخ الحاج نصر الله الخلخالي (أحد أصحابه) إنتقاله إلى المسجد الأعظم . كان الإمام لا يرضى أن يحضر في الأمكنة التي تبيّن نفوذه ، ولمّا كان الطلاب غير المطّلعين على خلق الإمام يسيرون خلفه في الطريق ، كان يقف ويقول لهم : « تفضلوا » ، وبعد مرورهم يكمل المسير ، ولم يكن يحب أن تمشي معه أية جماعة ، إلاّ إذا كان هناك بعض الأسئلة .

توفي آية الله الحكيم في الكاظمين ، ثم نقلت جنازته إلى النجف ، فطلب مني الإمام الذهاب إلى بيته . عندما ذهبت كان قد أوصاني أن أقول لهم بأن لا يعرّفوا الإمام بعنوان مرجع للتقليد . وهكذا فعلت .

دقته في إنجاز الأعمال الواجبة والمستحبة :

عندما كان الإمام في النجف في الفترة الأولى ، كان يذهب إلى الحرم المطهّر لأمير المؤمنين (ع) صباحاً ومساءً ، ولكن بعد انشغاله

بالدروس ، صار يذهب إليه مساءً فقط . كان يقرأ في كل ليلة زيارة أمير المؤمنين ، ثم يأتي إلى مكان آخر من جهة أعلى القبر ويصلّي ، وبعدها يبدأ بقراءة زيارة أخرى . كانت زيارته هذه تستغرق حوالي ٣٥ إلى ٤٠ دقيقة . في البداية كان يقرأ في كل ليلة الزيارة الجامعة ، وقراءة هذه الزيارة كانت تطول إلى الوقت الذي كان الخادم يتهيأ لتنظيف المكان وإغلاق الأبواب . فكان ينتظر حتى ينتهي الإمام من الزيارة . إلتفت إلى هذه المسألة وأخبرت الإمام ، فلم يعد يقرأ الزيارة الجامعة هناك إلاّ في ليالي الجمعات حين يبقى باب الحرم مفتوحاً حتى الصباح .

عندما كان يذهب لزيارة قبر الحسين (ع) لم يكن يمر من أسفل الضريح المطهّر لأن ضريح علي الأكبر كان هناك ، ولم يفعل هذا ولو لمرة واحدة . وإذا مرّ أمام قبور الشهداء لم يكن يضع أقدامه عليها وهذا ما لم نفهم سره في البداية . في النجف الأشرف أيضاً ، كان الإمام لا يمر من أمام ضريح أمير المؤمنين (ع) لوجود رواية تحتمل دفن رأس الإمام الحسين (ع) في هذه الجهة .

عندما كنت في خدمة الإمام في كربلاء ، وعندما يكون لي عمل معه أو حاجة ما . كنت أكتب ما أريده على ورقة ، ثم أرسلها إليه لأن بيته في كربلاء كان صغيراً بحيث لم يكن بالإمكان الدخول إليه . في إحدى المرات ، كتبت حاجتي على ورقة وأرسلتها إليه ، وحينما خرج الإمام من بيته للذهاب إلى الحرم ، قال لي في الطريق : « إنك لا تحتاط » . لم أكن على علم بشيء ، وهكذا لم يخطر على بالي أي خطأ ارتكبته ، فسألته عن هذا الأمر ، قال لي : « كان بإمكانك أن تكتب ذلك على ورقة مستعملة أو مسوّدة » .

لقد كانت لي منذ بداية تحصيلي للعلوم الدينية علاقة خاصة بشخص الإمام فقد تشرفت لحضور جلساته في الأخلاق ، ولعل رغبة والدي المرحوم والرابطة العائلية كانت إحدى أسباب هذه العلاقة الخاصة ، وكان التعامل الرفيع والمحبة التي أبداها الإمام لأفراد عائلتنا هو الذي أوجد هذه العلاقة ، ليس عندي فحسب بل لدى الجميع ، وفي هذا المجال أنقل لكم هذه القصة .

قبل حوالي ٣٦ سنة ، مرض والدي مرضاً شديداً إلى درجة أن الطبيب الذي كان يعالجه يئس من شفائه . وكانت حالتنا في ذلك الوقت لا تسمح لنا بالاتصال والرجوع إلى طبيب آخر ، وكانت الأيام تمضي وقلقنا يزداد شدة ، إلى أن حدث ذات يوم ، وذلك بعد انقضاء خمسة عشر يوماً على مرضه ، أن طرق الباب في منتصف الليل فإذا الإمام واقفاً على الباب مع المرحوم الدكتور « المدرسي » الذي كان حينها من أفضل أطباء « قم » ورئيس المستشفى فيها ، لم ينتظر الإمام بل تقدم سائلاً عن حالة والدي ودخلا إلى الغرفة الصغيرة التي كان ينام فيها أبي وهو في حالة الإغماء . حينها جلس الطبيب وفحصه فحصاً دقيقاً لمدة نصف ساعة ، كان الإمام واقفاً على باب الغرفة الصغيرة

يتأمل وجه والدي ، وعندما انتهى الطبيب سأله باهتمام خاص : « كيف حاله؟ » ، قال الدكتور : « الحمد الله انتهى من حالة الاضطراب وسوف تتحسن حاله بعد أن أخذ يتعرق » . وبسماع هذه الجملة تنفسنا جميعاً الصعداء ، وبعدها سأل الإمام عن أحوالنا المعيشية ثم خرج .

إنني لا أنسى هذه الحادثة حيث وقف الإمام لأكثر من نصف ساعة يراقب والدي أثناء فحص الطبيب له ، وقد علمت بعدها أن الإمام كان قد ذهب إلى غرفة « المحلاتيين » في المدرسة الفيضية ليبحث ويسأل عن والدي الذي لم يكن قد رآه منذ عدة أيام ، وعندما علم بمرضه وبعدم وجود الطبيب القدير لمعالجته انزعج كثيراً وعاتبهم على عدم اطلاعه على الأمر وعدم إيجادهم حلاً للمشكلة . ومن هناك ذهب يبحث عن الدكتور « المدرسي » حتى استطاع أن يجده في ذلك الوقت من الليل ويأتي به إلى بيتنا .

كانت هذه الحادثة إحدى نماذج العناية واللطف الخاص الذي حبانا به الإمام (قده) والتي تعود إلى أكثر من ثلاثين سنة ، ولم تكن هذه الوحيدة والخاصة بنا بل أن كل من عرفه وكانت تربطه به علاقة ما ، رأى منه مثل هذه الأمور وخاصة ممن كان يعتبرهم في خدمة الإسلام . وأستطيع أن أقول بأن هذه الخاصية كانت من أبرز الخصائص في حياة هذا الرجل العظيم ، ولا يتسع هذا المختصر من الوقت لنماذج أخرى من هذا القبيل .

أما فيما يختص بالعلاقة الشخصية معه فأذكر لكم نموذجاً من الأحداث التي لم يكن لها نظير : عام ١٩٦٣ م ، بعد حبس الإمام ٩ أشهر من قبل النظام المشؤوم ثم وضعه تحت المراقبة عليه ، اضطر

بعدها النظام إلى إعادته إلى « قم » من أجل إسكات النقمة الشعبية المتصاعدة .

قبل (١٥ خرداد) كان الإمام يكتب بنفسه جميع الرسائل والاستفتاءات والبيانات المهمة التي كان يصدرها في ذلك الوقت . إلا أنه بعد دخول الإمام إلى « قم » وعلى أثر ازدحام الناس الذي لم يسبق له مثيل والمراجعات والرسائل الكثيرة ، أوكل إلي متابعة قسم منها . في هذه الفترة تعلمت من الإمام الدروس الكبيرة في أسلوب كتابة الرسائل والإجابة عليها ، وكثيراً من الفنون في هذا المجال . فقد كان الإمام أستاذاً قل نظيره حتى في هذا الأمر ، وإن جل ما لدي من فن في هذا المجال يعود إليه فقد كان حقه علي كبيراً جداً . وكان عملنا في ذلك الوقت كثيفاً بحيث كنت أذهب إلى بيته في الصباح عند أول طلوع الشمس وأعود إلى بيتي عند الساعة العاشرة ليلاً وأحياناً في أواخر الليل .

في الأيام الأخيرة قبل إبعاده إلى « تركيا » أي بعد حوالي سبعة أشهر على الإفراج الأخير جلست يوماً مع زملائي الذين كانوا أيضاً يعملون في هذا المجال وتكلمنا حول هذا الأمر وهو أنه ربما لم يكن الإمام راضٍ عن عملنا وهو لا يظهر ذلك بسبب الحياء أو الخجل أو كبر النفس والتغاضي، فالأفضل أن نذكر نحن ذلك لكي يظهر لنا حقيقة ما في قلبه فنفهم نحن تكليفنا، قررنا أن نذهب نحن الثلاثة ونعرض عليه القضية، فوقع الأمر علي بالقرعة . كنت أفكر حينها من أين أبدأ الحديث، كيف أؤديه وكيف سيكون جوابه، فالإمام لديه من العظمة والهيبة بحيث يأخذ بمجامع الإنسان الذي يقف أمامه ليتحدث معه وإن كان يعرفه منذ سنين، فيصعب عليه أن يتفوه بكل ما يريده الإمام.

على أية حال هيأت نفسي بعد تفكير طويل حان الموعد المقرر فذهبنا إليه، وأوصدنا الباب وراءنا حتى لا يدخل أحد. عندما رأى. الإمام أننا نحن الأشخاص الثلاثة الذين يتعهد كل منهم بقسم مهم من أعمال البيت قد تركنا العمل في نفس الوقت، تعجّب منا وبدأ ينظر إلينا. تقدّمت منه وقلت له: «سيدنا، الشيء الذي أريد أن أعرضه عليكم هو أمر كان الأخوة الأفاضل أيضاً يريدون أن يعرضوه عليكم قبل مدة، وهو أننا منذ اليوم الذي تشرفنا فيه لخدمتكم كان هدفنا هو خدمة شخصكم الأمجد وهدفكم الغالي والكبير ، ولهذا السبب لم نتقيد بأي عمل آخر . نحن فقط نريد أن نساعد وأن يكون لنا حظ في هذه المسؤولية العظيمة وحمل هذا الثقل الكبير مهما قدّر لنا، وإنه لشيء كبير منكم أن وكلتمونا بأعمال حساسة ومهمة . وإلا فنحن نرضى بأن نقوم بترتيب الأحذية وتنظيف المنزل . والآن واجهتنا هذه القضية وهي أنه يمكن أن لا يكون أسلوب عملنا في كل ما أوكل إلينا مورد رضاكم وقبولكم ، أو أن لكم شكوى علينا . ولكن لعل نفسكم وعظم روحكم تمنعكم من أن توردوها علينا . . . نحن نريد أن نقول إنه لو كان عملنا واقعاً في غير محل رضاكم فنرجوكم أن تقولوا لنا حتى نغيّر أعمالنا أو يأتي أحد غيرنا ونحن سوف نتقبل ذلك بطيب خاطر » . ما زلت أذكر بعد ما يقرب ٢٢ سنة على هذا المشهد كيف كان الإمام كعادته يستمع لحديثي بدقة ، وبعد أن انتهى الحديث وأطبقت شفتاي رفع الإمام رأسه ونظر بعينيه النافذتين وأجاب على كلامي بجملتين : « سيد رسولي ، لا حاجة لهذا الكلام ، حتى ما عرفت وحددت أن وجودكم في هذا البيت فيه ضرر للإسلام سأقبل اعتذاركم . تفضلوا واذهبوا إلى أعمالكم » . بعد ذلك لم يقل الإمام شيئاً ، ولا سمحت لنا هيبته وعظمته أن نقول شيئاً ، وظلت هذه الكلمات ترن في آذاننا مدة

طويلة ، وبالنسبة لي يمكنني أن أقول إنها ما زالت ترن في أذني حتى الآن ، وربما لا أذكر حديثي ذلك بالضبط الآن ، ولكنني ما زلت أتذكر ما نقلته عن الإمام جيداً .

إن هذا التعامل يكشف بوضوح أن محور وأساس جميع الأمـور والحركات في نظر الإمام هو الإسلام ، وهذا هو الهدف المقدس الذي كان الإمام يسيـر في هذه الـطريق المليئة بـالأخطار لأجله طـوال تلك السنوات التاريخيـة ، مستطيعـاً بذلـك أن ينهض بهذه الأمـة ويقودهـا بأحسن وجه وبشتى الظروف وأصعبها إلى شاطىء النصر .

حجة الاسلام محمد سجادي أصفهاني

غادرت قم إلى النجف الأشرف بعد عام من نفي الإمـام إليها . وفي الفترة التي أقام فيها هناك كنت في خـدمته . وبعـد إتمام مـرحلة « السطوح » من الدراسة الحوزوية ، بدأت بحضور الدروس التي كان يلقيها .

وكما في المثل المشهور « مادح الشمس يمدح نفسه » فإننا نحن عندما نتحدث عن الإمام ، نكون أحياناً في موضـع المدح لأنفسنـا ، لأننا نراه حيث فضائله وصفاته ليست خافية على أحد .

أنسب تعبير يمكنني أن أطلقه عليه هو العبد الصالـح لله ، كنت ألازمه خلال عشر سنوات ، ولم أر منه إلّا العبوديـة لله وحده والعمـل الصـالح دائمـاً . ولا يخفى على أحد من النـاس كيف أنه كـان يتقيد بـالعبادات والأحكـام الإلهية ، إلى جـانب ذهابـه كل ليلة إلى الحـرم المطهر لأمير المؤمنين عندما كان في النجف الأشرف وكان دائم التوسل به .

التنظيم في الأمور :

من الصفات السامية والتي هي أسوة لأهل العلم ، ذلك النـظم الدقيق الذي كان مشهوراً في جميع شؤونه . فهو كما كان قد خصص

أوقاتاً للصلاة وأوقاتاً للزيارة ، كان أيضاً قد رتب كل أموره ونظم كل أعماله . هذه الميزة أفادتنا كثيراً ، فالإنسان إن لم ينظم أوقاته وأعماله لن يكون ناجحاً . وبالطبع ، فليس من السهل لكل إنسان أن ينظم برنامجه في الحياة العملية ، كما كان قد وفقه الله في هذا الأمر .

تربيته لطلابه :

من الصفات السامية للإمام أيضاً الدقة في استقصاء البحوث . ففي أي بحث يبدأه ، كان يلاحق المسألة بدقة وعمق ، وينقل كل الأقوال ثم يقوم بنقدها . كان الإمام يبذل جهداً كبيراً لتربية الطلاب والتقدم بهم على الصعيد العلمي ، ولهذا أيضاً كان يسمح للطلاب بتوجيه الاشكالات في درسه . قال لنا في أحد الأيام : « كان المرحوم الشيخ عبد الكريم مؤسس الحوزة العلمية في قم قد قال للذي يكتب دروسه بعد مطالعتها : ما كتبته جيد جداً ، ولكن ليتك أشكلت عليه ، فإن لم يكن من إشكال تسجل ولو شتيمة » .

وكان هدفه من رماية هذه الحادثة هو تنبيه الطلاب إلى أن لا يقبلوا كل ما يقوله ، بل يقابلوا الآراء والأفكار وأن يتعاملوا معها لا كما يتعامل مع القرآن ، ولذا كان الإمام يوصي بأن لا تستولي علينا هيبة الكبار وشخصية العلماء ، ولهذا كان تلامذته يمتازون عن غيرهم لأنه كان يسمح لهم أن يشكلوا في درسه وكان يشجعهم على هذا الأمر .

لن أنسى حينما بدأت بحضور بحث الخارج عنده ، كتبت دروسه التي كانت حول المعاملات تبعاً لتشجيعه . وفي يوم بعد الدرس ، في الطريق بين المسجد والبيت قلت له بأنني كتبت ما ألقيتم من الدروس فهل تسمح لي أن أقدمه لكم . قال : نعم ، واستقبله بحفاوة بالغة . وتعجبت لأن الإمام كان مشغولاً جداً . وتساءلت كيف

قبل ذلك ، ثم قدمت الكراس له . بعد سبعة أيام أرسلها لي مع تعليقة كان قد كتبها عليها ، ووجدت أنه قد طالعها بدقة وعلق على الاشكلات الواردة فيها . وهذا يكشف عن شدة تواضعه ورغبته في تربية الطلاب ، فهو لم يكتف بهذا المقدار بل قال « أشيد بك لأنك أشكلت فيه » .

حلم الإمام :

كان الإمام حليماً جداً ، وهو لم يقم بأي ردة فعل مقابل تلك الأيادي الخفية التي كانت تشتمه أو توجه إليه التهم والإهانات . وحتى في اليوم الذي أراد أن يرحل من النجف قال « لرضواني » أحد أصحابه ، إن هؤلاء قد آذوني كثيراً ، ولكن قل لأخوتي وأصحابي بعد ذهابي أن لا يقوموا بأي ردة فعل .

وهذا صعب جداً على مرجع تقليد أن يسمع كلاماً فارغاً ومفتعلاً خلال سنوات عديدة ، ويصبر دون أن ينطق بشيء .

هذا يكشف عن حلم وسعة صدر كبيرين من إنسان يتحمل كل شيء لله ويسكت لرضا الله تعالى .

ضد التمييز والتفرقة في الحوزة :

كان التمييز بين الطلاب في مسألة إيتاء الرسوم دارجاً في الحوزة قبل ورود الإمام النجف الأشرف ، وكان التمييز حاصلاً في إعطاء الحقوق بين الطلبة الأفغان والعرب والإيرانيين وغيرهم . فقال الإمام : « إذا تقرر إعطاء الشهرية فيجب أن تكون في مستوى واحد ، والطلبة المستوفون للشرائط أكانوا عرباً أم أفغاناً أم هنوداً أم باكستانيين أم إيرانيين فلا فرق بينهم » . وهذا كان عملاً عظيماً ، أنجزه الإمام في النجف وأفرح فيه الكثير من الطلاب ، حيث بادر (وهذه من إحدى خصائص الإمام أن يكون سبّاقاً إلى إتمام هذه المسألة التي لم تكن

مطروحة من قبل ممّا اضطر بقية المراجع أن يتبعوا هذه السيرة الحسنة .

كراماته :

نحن لا نستطيع أن ندرك البعد المعنوي للإمام لأن هذا فوق إدراكنا ، وأفضل كلمة يمكننا أن نقولها في هذا المجال هي أنه كان عبد الله الصالح .

حينما كنت في خدمته خلال تلك السنوات رأيت وسمعت من المشاهدات والحكايات ما يمكن أن نسميه بالكرامات .

في تلك الأيام كان إرسال النقود إلى العراق صعباً جداً . قال أحد العلماء (من أصفهان) أتيت بمقدار من النقود إلى الشام ومن هناك دخلت العراق ، وفي المطار رأيت مأموري التفتيش يفتشون كل شيء ، فحزنت واضطربت وتوسلت بالإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) ، قائلاً : « يا سيدي ومولاي ، إنما أتيت بهذا المبلغ من النقود لأسلمه إلى ابنك ، فإني أستغيث بك في أمري هذا » .

في تلك اللحظة بالذات أتى أحد الموظفين وناداني وأذن لي أن أذهب . بعد ذلك وعندما وصلت إلى النجف وجئت إلى بيت الإمام ، تبسم الإمام وقال :

كان عندك مشكلة وتوسلت بالإمام الكاظم ، !! .

في إحدى السنوات ، استعدينا لسفر الحج ، وفي الليل وجه الإمام نداء بأن لا نذهب ـ أخوته وأصحابه ـ إلى الحج هذه السنة . لم نكن نتوقع مثل هذا الكلام ولكن ولأنه كان من جانب الإمام امتثلنا به

ولم نـذهب للحج في تلك السنـة . وفي ذلك المـوسم حـدث ذلـك الحريق الهائل .

بعد انتصار الثورة اتجه الإمام إلى طهران ، ومنها إلى قم . كان لي صديق في أصفهان يدعى « عرب » وكان من محبي الإمام .

كنت أعرف أنه مصاب بالقرحة في المعدة من قبل ، إلى الحـد الذي لا يقدر معه على الصوم وتحمل الجوع . قال له الأطباء إن هذا المرض يمكن معالجته بعملية جراحية . قـال السيد عـرب : « ذهبت لزيارة الإمام في إحدى المـرات ، وفي ذلك الحين طلبت منـه الشفاء بكل قلبي حتى أقدر أن أصوم في هذه السنة » .

وسنة ١٣٦٣ هـ . ش ذهبت إلى مشهد المقدسة ، وهناك رأيت السيد عرب فقال لي : « إنني أصوم منذ سنتين ، منذ ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى الإمام شفيت من مرضي (هذا الجرح الذي كان منذ ١٥ سنة) بشكل تام » .

المشاورة في الأمور :

في السنـوات الأخيرة في النجف الأشـرف حـوصـر بيت الإمـام ومنعنا أيضاً من زيارته ، فحزنا جداً . في إحدى الليالي رأيت في المنام أن إمام العصر (عج) واقف خارج بيت الإمـام فصافحتـه ، ووجدتـه ينتـظر ، وفجأة رأيت الإمـام قد خـرج من بيته . ذهبنـا باتجـاه شـارع الرسول (أحد الشوارع من الحرم باتجـاه القبلة) وقد سـارت جماعـة خلفهما كلها من إيران .

صبـاح تلك الليلة أتى السيد أحمـد ، وقال إن الإمـام يقـول : « لأنكم شاطرتمـوني الأحزان والأفـراح طوال المـدة التي كنا فيهـا في النجف ، رأيت من الأجدر أن أخبركم بما أريد أن أفعل » .

حينما يرى الإنسان هذه الأحداث المميزة ، يتذكر خلق الرسول الأعظم ﷺ وصفاته الكريمة .

نعم ، كان الإمام قد صمم على أن يترك النجف ولم يرد أن يطلع أحداً ، ولكن وبسبب العلاقة التي بيننا ، أخبرنا بأنه عازم على الذهاب إلى الكويت . بعد عدة أيام سرنا من النجف إلى حدود الكويت معاً .

شاهدنا أثناء الطريق أعمالاً وأخلاقاً كأخلاق الرسول ، ومع أننا كنا في موقع الطاعة ، إلّا أنه كان يعاملنا معاملة الأخ والصديق .

طبيب الإمام الخاص الدكتور مقدس پور

[ما ننشره هنا بعض الذكريات لأحد محبي الإمام والمقربين إليه ، وهو الدكتور مقدس بور الذي تشرف بخدمته لمدة تسع سنوات ، وكان يعود الإمام ٣٦ ساعة كل أسبوع لمراقبة قلبه وضغط دمه و . . . و . . .

أمضى عمراً في خدمة قلب الأمة الإسلامية النابض ، ومع أنه كان عضواً في الهيئة العلمية في جامعة العلوم الطبية (أصفهان) ، فقد وقف نفسه لسلامة الإمام القائد بدافع المحبة العظيمة له قدس سره] .

ذكرياتي معه كثيرة ، وما تعينني عليه ذاكرتي أذكره لكم هنا :

تحمّل البلاءات :

إحدى الذكريات عندي هي حول جَلَد هذا الرجل الإلهي العظيم ، وصبره أمام البلاءات ومصائب الدهر . كانت الساعة تقارب ١١,٣٠ حينما كنا وآية الله صانعي جالسين في مكتب الإمام حيث اتُّصل بنا فجأة لنقل خبر تعرّض آية الله خامنه اي للاغتيال ، وبالطبع فإن هذا الخبر أوجد فينا اضطراباً شديداً ولكن كان لا بدّ أن نوصله للإمام ، فطلب مني الشيخ صانعي كوني طبيباً أن أرتب الأمر بحيث لا يحصل أدنى تأثير سلبي على جسم الإمام ونفسه حال سماعه للنبأ .

فكرت أن أضع قرصاً مهدئاً في الشـاي وأقدمـه للإمـام ، وبعد ساعة حين يظهر أثره نبلغه الخبر بطريقة هادئة . قَبِل الشيخ صانعي هذا الاقتراح أول الأمر ولكنه قال : إسمـح لي بأن أستخيـر الله ، فجاءت الاستخارة غير جيدة أن نسلك هذا السبيل . لهذا قرر أن يذهب بنفسه وينقل الخبر للإمام . . .

عنـدمـا رجـع قـال لي : حينمـا وصلت إليـه ، كنت في غـايـة الاضطراب ، ولـم أكن أدري ما أقول ، كان الإمام جالساً على سجادة الصلاة ، وقبل أن أحرّك شفتاي للكلام ، بادرني الإمام بالسؤال « هل اغتيل السيد خامنه اي؟! » وعندما علمت أنـه مطلع على القضيـة هدأ روعي .

الآن ، من أين حصل الإمام على الخبر مع عدم مجيء أحد إليه قبل الشيخ صانعي ، هذا مـا لا أدركه في الحقيقـة . وكأنـه أُلهم بأن الشيخ صانعي قد جاء إليه ناقـلاً الخبر ، فبـادره بالسؤال ليهـدىء من روعه .

وهذا لا يعني أن الإمام لم يكن يهتم ويبالي للحوادث المؤلمة ، ففي نفس الوقت كان ذا حساسية شديدة ، فهو يتحمل المصـائب إلى أقصى حد ، وبنفس الوقت يبحث عن أفضل طريق لحل المشكلات . ولهذا فقد طلب من الشيخ صانعي أن نرسل له تقريراً كل نصف ساعة عن حالة السيد خامنه اي . كان يريد في التقـرير معـرفة ميـزان ضغط الـدم والتنفس والوعي والنبض . . . كـان الإمام مهتمـاً إلى درجة أنـه طلب تقريراً لا يهم سوى الأطباء . . . كطبيب أراد أن يتابع حالة السيد خامنه اي ؟ .

حادثة أخرى تبين مدى تحمله للبلاءات وهي حادثة انفجار مقـرّ

الحـزب الجمهوري . عنـدما وصـل خبر شهـادة ٧٢ رجـلاً من خيـرة أصحاب الإمام ، فكرنا بأنه إذا وصل الخبر إلى الإمام فإن حالته سوف تسوء وهذا يؤدي إلى بروز مشاكل نفسية عديدة ، كما حصل لنا ـ نحن الأفراد العاديون ـ من اضطراب .

ولكن الخبر يصل إليه ، فيتحمل الفاجعة بكل سكينة وهـدوء ، وبذلك الخطاب التاريخي العـظيم ، أعاد الهـدوء والسكينة إلى الأمـة جمعاء . بالطبع ، لو استُشِرنا لقلنا حينها : كان يجب على الإمام أن لا يخطب في ذلك الوقت ، ولكنه سبقنا وألقى ذلك البيان العظيم . وهذا ما يدل على مدى صبره وتحمله الذي لا يوصف .

الإمام وظاهرة الخوف :

في هذا الصدد كنت قد سمعت من أهل بيت الإمام أنه كان قد قال في محضر من أعوانه وأنصاره : « إنني لم أخف في حياتي أبداً ، ولم أعرف ما هو الخوف » وأنا قد لمست هذه المسألة فيه من النـاحية الطبية . وهذا لأنه من الناحية الفيزيولـوجية تـزيد عنـد الشخص الذي يخاف نسبة الأدرينالين في دمه بشكل فجائي فتؤدي إلى زيادة ضربات القلب وبياض اللون وارتعاش الأعضاء وارتفاع ضغط الدم وغيرها من عوارض الخوف ، ونحن طيلة الـ ٩ سنـوات التي كنا فيهـا مع الإمـام نتابع ضغط دمه ودقات قلبه لم نر أي تغير فيها . حتى في الفترة الأخيرة حيث وقعت أحداث كثيرة مؤلمة يمكن أن تؤدي كحد أدنى إلى زيـادة ضربات القلب ـ كنا نستعمل الـ « تلي مونتير » الذي يسمح لنـا برؤيـة دقات القلب رأي العينين وبمتابعة ذلك دقيقة بدقيقـة ـ فإنـا لم نر أيـة زيادة في دقات قلب الإمام . مثلاً أثناء قصف طهران بالصواريخ وحيث كان الاضطراب يصيب الجميـع ، كانت آلـة الـ « تلي مونتيـر » ترينـا

بوضوح أن دقات قلب الإمام لم تسرع أبداً ، وحتى عندما كنا نأخذ مستوى ضغط دمه فإننا لم نلاحظ أي تفاوت فيه . . . كنا نستنتج دائماً أن الإمام وعلى أثر الرياضة والتهذيب قد سيطر على روحه وجسده تماماً .

التنظيم والترتيب :

المسألة الثانية التي سمعنا عنها جميعاً ، وأتمنى أن تكون أسوة لنا نقتدي بها هي قضية التنظيم والترتيب في حياة الإمام الخاصة ، لقد كان دقيقاً في مواعيد لقاءاته وقراءاته وعبادته ومشيه في الصباح والمساء في بيته المتواضع . باختصار فإن عبادته ، صلاته وقراءته ، أدعيته وسيره ، وحتى نومه كان محدداً ومعيناً تعييناً تاماً .

كانت عادته أن ينام بعد العمل والنشاط اليومي في الساعة ١٠,٤٥ لمدة ثلاثة أرباع الساعة نوم القيلولة . ثم يستيقظ من نومه دون أن يكون قد نام دقيقة أقل أو أكثر . وقد كنا نلتفت إلى استيقاظه من خلال الـ « تلي مونتير » الذي كان يظهر تغيراً بسيطاً في دقات قلبه ، وهو لأجل الحفاظ على المواعيد لم يكن يعبىء منبّهاً ، فقد كان ينام في الوقت المحدد ويستيقظ في الوقت المحدد أيضاً .

وفي الليالي لم يكن يترك قيام الليل بأي شكل . كان يصل صلاة الليل بصلاة الصبح دائماً . كان ينام في الساعة ١٠,٣٠ مساءً . لقد كان التنظيم مسيطراً على حياته كلها ، وبدون مبالغة كان يمكننا أن نضبط ساعاتنا وفق تحركاته .

بكاء الليالي :

النقطة التي ينبغي الالتفات إليها هنا ـ وكل حياة الإمام أسوة ومدرسة ـ تكمن في ذلك التضرع وفي تلك المناجاة التي كان يعيشها

الإمام في صلاة الليل . نحن قد سمحت لنا الظروف أن نرى تضرعاته وبكاءه أمام المحضر الإلهي في الليالي الحالكة حيث كنا دائماً إلى جانبه ، وحتى في تلك الليلة التي نقل فيها إلى المستشفى وكان مقرراً أن تجرى له عملية جراحية في اليوم التالي ، إستيقظ من نومه كعادته وقام إلى الصلاة ، وقد عرضت هذه المشاهد على مرأى الجميع في التلفزيون حيث تم التقاطها بواسطة كاميرا خفية ، ولكن مقطعاً من الفيلم لم يعرض لمصلحة ما ، وهو لحظات مناجاة الإمام وبكائه في محضر حضرة ذي الجلال ، ولو أني كنت أتمنى أن يعرض هذا المقطع أمام الجميع ، حتى يعلموا أنه في الوقت الذي لم يكن للخوف مكان في حياة الإمام حيث كان يقف وحيداً فريداً لا يخاف أحداً ولا يخشى أحداً ، كان في الجانب الآخر يقف أمام بارئه يبكي ويرتجف وتنهمر دموعه بشكل لا مثيل له .

وأحياناً وبناءً على مصالح وأسباب معينة ، كنا نضطر أن نكون في ذلك الوقت من الليل إلى جانب الإمام ، وبدون أن ينتبه ، شاهدنا تلك الحالات الروحية العظيمة .

بعض السادة تصوروا أنه إذا رأى الناس ذلك المقطع من الفيلم قد يظنوا أن الإمام كان يخاف ـ مثلاً ـ من العملية الجراحية أو من الموت فيبكي لذلك ، لهذا حذفوه من الفيلم ، ولكن نحن الذين كنا نلازمه دائماً ، وكان لنا هذا الارتباط الوثيق به ، كنا نرى أن حالته تلك لم تكن لتختلف في ذلك اليوم عن سابقتها . لقد كان الإمام يعلم ـ قبل أن يشخص الأطباء ـ أن عمره الشريف قد انتهى وأن لا سبيل إلى شفائه . ومع ذلك فإن أي اضطراب أو خوف لم يطرأ عليه .

متابعة إرشادات الطبيب بدقة :

طوال مدة عملي كطبيب ، لم أر مثيلاً للإمام من حيث اتباع الإرشادات الطبية بدقة . فإذا قيل له يجب أن تتناول هذا الدواء ساعة بعد ساعة مثلاً ـ وهذا خارج عن طاقة الإنسان العادي ـ فإن ذلك بالنسبة له وهو الإنسان الخارق في كل النواحي يكون سهل التنفيذ . كنا بصدد اختيار أدوية له ذات تأثير طويل Long-Active ولكننا كنا نخشى أن يؤدي ذلك إلى نتيجة سلبية وعندما عرضنا الموضوع على الإمام ، قال : لماذا تريدون أن تغيروا دوائي ؟ قلنا له : لعلك لا تتحمل تناول الدواء ساعة بعد ساعة ، إضافة إلى إزعاجنا الدائم لك . فقال (قده) : « إنني لا أنزعج بأي شكل من الأشكال ، ولا يلزم أن تسعوا لتغيير دوائي » .

وهنا ، لماذا كان الإمام ملتزماً بالأصول الطبية بهذا الشكل ، فقطعاً لم يكن نتيجة العلاقة بجسده بحيث يريد أن يحافظ عليه دائماً وعلى النحو الأحسن ، فالإمام في الوقت الذي كان فيه يتوكل على الله ويعتبر أن السلامة والمرض منه تعالى ، كان يلتزم بالإرشادات الطبية جيداً ، « أعقلها وتوكل » ، ففي عين التوكل كان يعمل بإحكام لحفظ جسده لشعوره بالمسؤولية تجاهه . وإذا لم يكن هناك إحساس منا وشعور بالحاجة الماسة إلى وجود الإمام ، فهو الذي أوقف نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين كان يشعر بذلك ولهذا كان عليه أن يحافظ على سلامته جيداً .

كان الإمام قد سمح لنا بأن ندخل إليه في أي وقت من الليل بكلمة « ياالله » كان يقول : عندما يكون لكم عمل معي فقط قولوا « ياالله » وادخلوا . فإذا قلنا « ياالله » كنا ننتظر أن يقول لنا « بسم الله »

ثم ندخل ، فننجز تلك المراقبة التي ينبغي القيام بها ونرجع . في تلك الأوقات الاستثنائية التي كنت أدخل إليه فيها دون أن أقول « ياالله » ، لم أره يوماً يقطب في وجهي أو يقابلني بامتعاض ، بل بمنتهى البشاشة . وهذا مما يدل على غاية صبره وجلده .

الأدب والرقة المتناهية :

أيام القصف الشديد لطهران بالصواريخ ولمدة ستة أشهر ، شعرنا أن هذه الأحداث يمكن أن تجلب مشاكل عديدة ، فتركنا مدينتنا وجئنا إلى جوار الإمام . واستمرت الأوضاع إلى أن وصلت إلى ذروتها أواسط شهر إسفند ١٣٦٦ هـ. ش. وفي أحد الأيام، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف حينما دخل عليّ الشيخ أنصاري وقال لي :« سيدي الدكتور : لنذهب إلى الإمام » لم أسأله عن السبب ، وذهبنا فوراً إلى الإمام الذي كان يسبح بسبحة في يده . عندما رآنا تعجب من هذه العجلة التي كنا فيها . ومع أن الشيخ أنصاري كان مأنوساً بالإمام ويتكلم معه بارتياح تام، لكنني في ذلك اليوم رأيته قد طأطأ رأسه وتلعثم في التكلم رغم كونه متكلماً بارعاً، وقال ما مضمونه: إن وضع المدينة صار بحيث أن أكثر أهلها هجروها أو أن الذين بقوا فلديهم ملاجىء . ومن هم في بيتك ، وقد جمعتهم الدوافع العديدة ، قلقون جداً من قصف الصواريخ ، فلأجلهم إقبل معنا أن ننقلك إلى مكان آمن . كذلك كانت قد وصلتنا معلومات من معسكرات مختلفة تقول بأن العدو يريد أن يستهدف جماران بالصواريخ ـ وكانت القرائن العديدة تشير إلى هذا ـ فنطلب منكم أن توافقوا على الانتقال إلى مكان آمن .

أشار الإمام بمنتهى البرودة إلى بيت السيد أحمد وقال : « خذوا

أحمد وعائلته واذهبوا » ثم تغيرت ملامحه وقال : « لن أغيّر محلي بأي شكل من الأشكال » .

اعتـرت الشيخ أنصاري من جرّاء فشله في الوصول إلى مقصده حالة من البكاء ، وكرر طلبه بلهجة أشـد متمنياً على الإمـام القبول . فتبسم الإمام وقال: «شيخ أنصاري إنكم تخطئون بحساباتكم. ثم لمـاذا هذه العواطف ، تغلبوا عليها وليكن لكم السيطرة » . وعندما رأى شدة الالتماس من الشيخ أنصاري قال برقة متنـاهية: «إذهب أنت والـدكتور، وآتوا بخطتكم حتى أقول ماذا يجب أن نفعل»، سررنا جداً لقبـول الإمام في النهاية . ومن شدة سروري ، قبّلت الشيخ أنصاري وقلت له : إن جميع هؤلاء الكبار والمسؤولين الذين كانوا يطالبون الإمام بتغيير محل إقامته لم يقبل منهم ، والآن ولله الحمد فقد وقع تحت تـأثير كـلامكم وقبل ! .

لـم تمض عشـرة دقائق حتى اتصـل بنا السيـد أحمد وقـال : لا تتعبوا أنفسكم ، فإن الإمام أراد أن يعتذر منكم بأدب ، ولم يكن يريد أن يقول لكـم : أخرجوا ! لهذا قال : اذهبوا وأحضروا خطتكم ، والآن قال لي : « لن أغيّر مكاني بأي شكل » .

هذه الحادثة تبين كم كان الإمام مؤدباً ورقيقاً ، وتدل أيضاً على شخصيتـه التي لا تقبل النفـوذ ، وفي الـواقـع ، إن أولئـك المسـاكين الجهلة الذين يظنون أن الشخص الفلاني أو المسؤول الفلاني داخل أو خارج بيت الإمام يملك تأثيراً عليه ، هؤلاء لم يفهـمـوا بسـبب جهلهم بحقيقة الإمام ، أنهم وجهوا أعظم إهانة إليه .

العارض القلبي الشديد :

وإن كان الخبر الأخير لمرض الإمام قد آلم الجميع ، وأنا أشعر

بأن هذه القضية قد قصمت ظهر الأطباء المجتمعين ، ولكن لا بأس بأن تعرف أمة الشهداء ان الإمام طوال السنوات الثمانية الماضية قد أصيب بعوارض قلبية عديدة رغم كونه تحت المراقبة والعلاج بأحسن وجه ، ولعلي إذ أذكر بعض الحوادث الماضية عن مرضه أخفف من الآلام الناشئة من الحادث الأخير .

أصيب الإمام في الخامس والسادس من فروردين ٦٥ هـ. ش بعارض قلبي شديد . كان الإمام في دورة المياه عندما أصيب بسكتة قلبية . جاء الحاج عيسى وأخبرني بأن حالة الإمام قد انقلبت ، وبسرعة وبدون أن أبدّل ثيابي[١] ركضت إلى بيت الإمام لأرى حفيده والسيد أحمد وزوجته والسيد رضا فراهاني يركضون أمامي قائلين : أسرع يا دكتور ! قلت : ماذا حدث ؟ قالوا : إن الإمام ليس بحالة جيدة .

دخلت ، وعندما وصلت إلى دورة المياه رأيت الإمام وقد ألقى رأسه على الحائط ورجلاه على الأرض . المدهش هو أنني في تلك الحالة العصيبة لم أضطرب أبداً ولم أرتجف ، وبهدوء ـ وهذا قطعاً معجزة للإمام نفسه[٢] ـ تقدمت ونظرت إلى عينيه لأرى أنه في حالة

---

(١) النقطة التي يلزم ذكرها للقراء هنا هو أنني كنت كلما أردت أن أتشرف لخدمة الإمام ومعاينته كنت أتوضأ ، فليس صحيحاً عندي أن ألمس ذلك البدن المبارك دون وضوء ، عكس ذلك اليوم الذي لم أتوضأ ولم أبدل ثيابي .

(٢) لست بطبيعتي رجلاً هادئاً ، وحتى أنني لو رأيت حالة غير طبيعية فإنني أضطرب ، ولكن ذلك اليوم مع أنني كنت أرى إمامي ومرادي وحبيب الشعب الإيراني كله في حالة سيئة جداً ، ولعجبي الشديد ، فقد عرض علي هدوء مدهش وأنا أعتقد تماماً بأن ذلك الهدوء كان بإرادة الله ومعجزة شخص الإمام ، لأن الله كان يريد نجاة الإمام عبرنا وإعادة الحياة مجدداً إلى جسده ، وقدر لي أن أجري ذلك ، لهذا أُعطيت ذلك الهدوء حتى أؤدي عملي بنحو أفضل .

« الميدرياز »[٣] الكامل ، ومن الناحية الطبية ، فإن الأمل فيها بالنجاة بعيد جداً .

باختصار كان القلب متوقفاً عن الحركة كلياً وقد زالت كل علائم الحياة من الجسد . قلت للسيد فراهاني بأن يأخذ بقدمي الإمام وحملناه إلى غرفته . وهناك مدّدناه على الأرض ، وقررت بأن أقوم بعملية الإحياء أو « الريسي ستيشين » ، أي أنني قمت بنفسي بعمل التنفس الاصطناعي والماساج القلبي . وكنت أقوم به وأنا في غاية اليأس . . ولكن ، بعد عشرة دقائق وقعت المعجزة الإلهية الثانية وذلك عندما بدأ القلب بالعمل ثانياً . فبدأ القلب أولاً ينبض عشرة مرات في الدقيقة ، فاختلط اضطرابي بسروري ، وفارقني ذلك الهدوء العجيب . وعاد الخوف يملأ كياني . فصرخت : « أحضروا الشروم بسرعة والادروبيم وكذلك جهاز الصعقة الكهربائية » ، وكنت أصرخ وأنجز أعمالي بسرعة . فحقنته بحوالي ميليغرام من الأدروبيم ، ولحسن الحظ فإن أثره ظهر بسرعة وازداد عدد النبضات إلى ٤٥ ثم ٥٠ في الدقيقة . وعندها عاد إليه الوعي من جديد وبدأ بالتنفس ، فقال : « إن صدري يؤلمني » ، فعرفنا أنه أصيب بسكتة قلبية حادة ، ظهرت أولاً على صورة الموت الفجائي والتوقف التام للقلب ولحسن الحظ شفي وهدأ الألم بواسطة الدواء . وهذه الحالة ـ السكتة القلبية ـ من الاستثناءات الطبية ، ذلك لأن الذين يصابون بها ، يبدأون عادة بالإستفراغ وألم القلب ، وهذه العلامات تبعث المريض على مراجعة الطبيب . ولكن أولى علامات السكتة القلبية عند الإمام كانت السكتة التي يسمونها « سدندس » أي الموت الفجائي .

---

(١) « الميدرياز » هي أن يمر على توقف القلب عن العمل ثلاثة أو أربع دقائق ، وتقريباً فإن عودة الحياة في هذا الظرف بعيدة جداً .

أُختٌ تشرّفت بخِدْمته في "نوفل لوشاتو" في باريس

إنني وكأخت صغيرة أوصي أمتي بالسعي لمعرفة الإمام الخميني كنائب للإمام صاحب العصر والزمان (عج) والوصول إلى مرحلة متابعة أوامره وإرشاداته والعمل بها .

فخلال إقامة الإمام القائد فترة أربعة أشهر في « نوفل لوشاتو » نستطيع أن نجد لنا دروساً كثيرة ينبغي لكل واحد منّا أن يتعلمها ، حيث تتجلى شخصية الإمام في تعامله مع مختلف المسائل السياسية والاجتماعية والعائلية كأمثولة وقدوة لنا جميعاً .

إن أول شيء يجذب الإنسان إلى هذه الشخصية هو مدى ارتباطها بالأمور المعنوية والتعاليم الإسلامية ودرجة الدقة العظيمة في إنجاز الأعمال الواجبة والمستحبة .

أتذكر مرة عندما جاء أحد السادة وقال : هناك أميركيون يريدون مقابلة الإمام وإجراء حديث معه يبث مباشرة على الهواء (وكلنا يعرف مدى أهمية التلفزيون الأمريكي الواسع البث في أغلب بلاد العالم). واتفق أن كان يوم مجيء الأمريكيين يوم « جمعة » ، فأخبرت الإمام بخصوص اللقاء . فقال : « الآن وقت غسل الجمعة ، وليس وقت اللقاء » . ثم ذهب واغتسل غسل الجمعة وبعدها قال : « الآن أنا مستعد للقاء » !

بعد هذه الحادثة مرت ذكرى ولادة حضرة السيد المسيح (ع) .
فقال الإمام : « إن جيراننا هؤلاء قد أزعجناهم بالذهاب والمجيء وكثرة الزيارات ، الأفضل أن تقدموا لهم هدايا مع اعتذاري بهذا الشأن » .
بعد ذلك ذهب بعض الأخوة واشتروا حلويات . فسألهم الإمام : « ماذا أعددتم؟ » فقدموا الحلوى أمام الإمام . قال لهم : « إن الأجانب يفضلون الزهور ، فأضيفوها إلى الحلوى » . في ذلك اليوم هيئوا الهدايا وقدموها للجيران . وفي اليوم الثاني رأينا أن الشارع قد غصّ بالمصورين والصحفيين ، فسألت أحد الأخوة : « ما الخبر؟ » قال : « الصحفيون جاؤوا لينقلوا خبر توزيع الإمام للهدايا على الجيران » .
إضافة إلى ذلك فقد أجروا في ذلك اليوم لقاءً مع الإمام تحدث فيه عن ولادة السيد المسيح (ع) فكان لهذا اللقاء أثر كبير ، بل أكبر من اللقاء الذي أجراه مع المراسلين الأمريكيين قبل عدة أيام .

في اليوم الذي خرج فيه الشاه من إيران ، وبعد صلاة الصبح جئت إلى الإمام وقلت له : « إن الإخوة يقولون أن الشاه قد ذهب ، وقد أذيع النبأ في الراديو » . وكان الجميع مسرورين فرحين بهذا الخبر ولكن الإمام اكتفى بهذه العبارة : « ثم ماذا؟ » . في هذا اليوم جاء الصحفيون وأرادوا أن يعرفوا رأي الإمام بخصوص خروج الشاه من إيران . كان عددهم كثيراً جداً لدرجة أن المكان اكتظ بهم . وطلبوا السماح لهم بمقابلة الإمام أو أن يكتب لهم رأيه في الموضوع . ولكن الإمام ذهب لصلاة الظهر والعصر قبل ذلك . وجاء الأخوة مرة ثانية وقالوا : « إن الصحفيين يؤذوننا كثيراً ! قولي للإمام أن يكتب رأيه بالموضوع » . ذهبت إلى الإمام ونقلت له ما جرى ، فأخذ ورقة وقلماً وبمجرد أن أراد الكتابة عاد ووضع الورقة والقلم جانباً وقال : « إذهبي وقولي : الورقة تكون حاضرة الساعة ٤ عصراً » . تعجبت وقلت في

نفسي ماذا يضر لو يكتب الآن ؟ . . وعند تمام الساعة الرابعة ناداني الإمام وقال: « الآن تعالي وخذي الورقة ». أنا على يقين بأنه لولا الحالات العرفانية التي كان يعيشها الإمام ولولا ارتباطه الروحي ما كانت تلك القرارات تؤثر تأثيرها المطلوب ، ولكن بالنسبة لنا ولأنه ليس عندنا مثل هذا النظام فإننا لا نستطيع أن ندرك هذه المسائل .

هذه الدقة في ملاحظة الأمور تتجلى في الإمام في مختلف الأبعاد . فنجد أنه لم يكن يعطي الأعداء أي فرصة ليستفيدوا منها ، وكان يهتم كثيراً بالذي يدخل بيته ، ويقول : « ليس كل من يستطيع أن يوصل صوتنا إلى العالم نفسح له المجال ؛ كائناً من كان ، بل ينبغي أن يكون تقيّاً أو ممن يؤلمه ويهمه مصير الأمة . وكمثال ، أذكر أن البعض كان فاراً من الشاه ويقيم في الدول الخارجية ، جاء ليتعاون مع الإمام عارضاً خدماته ، ولكن الإمام لم يوافق حتى على لقاء واحد لاحتمال أن يستغل هؤلاء مثل هذه الأمور في المستقبل .

ومسائل أخرى تبين دقة الإمام في المسائل الشرعية .

أتذكر مرة أنني كنت أضع بعض الجرائد الأجنبية أمام باب بيت الإمام كي يضع حذاءه عليها لأن الأرض كانت دائماً مبللة بسبب المطر وفي أحد الأيام جاء بعض الأخوة الإيرانيين بجرائد من إيران فأخذت منها صفحة الاعلانات ووضعتها على باب غرفة الإمام ووضعت حذاءه عليها . عندما أراد الإمام لبس حذائه ، مد قدمه ، فرأى الجريدة ، ثم قال : « أظن أن هذه الجريدة إيرانية » . قلت : « نعم ولكن هذه صفحة الإعلانات » ، فقال : « لعله يوجد اسم محمد أو علي فيها ».

في « نوفل لوشاتو » يعتبر ذبح الحيوانات خارج المسلخ ممنوع حسب القوانين . في أحد الأيام ذبح خروف في مكان إقامة الإمام ،

فقال الإمام ، بالرغم من وجـوده في بلاد الكفـر « أنا لا آكـل من هذا اللحم لأنه مخالف لقانون هذه الدولة » .

خـرجت ذات يـوم في نـوفـل لـو شـاتـو واشتـريت ٢ كيلو من البرتقال . وعندما رآني الإمـام تساءل : « لمـاذا كل هـذا البرتقـال؟ » فقلت إنه رخيص الثمن ويكفينا لعدة أيام . فقال الإمام : « لقد ارتكبت إثمين ، الأول أنك اشتريت البرتقال بهـذه الكمية ونحن لا نحتـاجهم والثاني أنه ربما يوجد في نوفل لوشاتو من لم يشتر البرتقـال لحد الآن بسبب الغـلاء ، ويمكنه أن يشتـريه بهـذا السعر الـزهيـد » . فقلت : « سيـدي مـا الحيلة الآن ؟ » فقـال : « أرجعيـه لصـاحبـه » ، قلت : « لا يمكن ذلك » . قال : « قشري البرتقال وأعطيه للفقراء الـذين لم يأكلوا حتى الآن لعل الله سبحانه وتعالى يغفر لك ذنبك » .

وأذكر مرة عندما جاء رئيس شرطة نوفل لوشاتو ومعه صورة للإمام في حالة القنوط ، جاء بها لأجل الإمضاء عليها . فأخذ الإمام الصورة وأمضى عليهـا ، وعنـدمـا نـظرت إلى الإمضـاء وجـدتــه مختلفـاً عن الإمضاءات السابقة فالإمام لم يذكر اسمه الأول كعـادته ، فقلت لـه : « أظن أن إمضاءك يختلف عن سابقه » فأجاب قائـلاً : « لأنه مسيحي ولا يراعي الوضوء ، لهذا لم أكتب روح الله لئلا يضع يده عليه » .

ثم إن الشيء البـارز في هذه الشخصيـة العظيمـة هـو أنـه رغم انشغاله الكثير حيث لم يكن ينام أكثر من ٤ ساعات كل يوم ، كان يهتم بمسألة التنظيم ، فكان كل يوم ينام الساعة ١١ ليستيقظ الساعة ٣ بعد منتصف الليل حيث كنت أسمع صوت تقليب الأوراق التي كانت بجانبه أو الجرائد التي ترجمت خلال النهار ولم يكن لديه وقت لمطالعتهـا . فمسألة استغلال الإمام للوقت وعدم إضاعته هي من أبرز ما يميز هـذه

الشخصية العظيمة . فعندما يكون هناك تأخير في الغداء دقيقة أو دقيقتين يجلس الإمام ويقرأ القرآن . أو في بعض الأحيان عند اللقاء مع الصحفيين فالإمام يستغل الوقت القليل الذي يكون فيه الصحفيون يهيئون أجهزتهم .

ورغم هذا الانشغال كان الإمام يلتفت إلى أمور دقيقة. في أحد الأيام جاء الشهيد مطهري والشهيد صدوقي لزيارة الإمام ، وعند الغداء ، قدمت لهم ثلاثة صحون من الطعام ، وقلت في نفسي : أذهب وأتناول شيئاً من الجبن لأنه لم يبق من الطعام شيء . وعندها سألني الإمام : « ما هو غداؤك؟ » فلم أستطع أن أكذب وقلت : « تفضلوا أنتم بالغداء وأنا أذهب وأتناول غدائي في المطبخ » . عندها قال الإمام : « أحضري صحناً » ، ثم قسم الغداء من جديد إلى أربعة صحون . إن الإمام ورغم مشاغله الكثيرة وعلى الرغم من كثرة ضيوفه لم يكن ينس هذه الأمور الدقيقة .

ففي أحد الأيام اضطررت أن أنام في المطبخ لكثرة ضيوف الإمام . عرف الإمام بذلك وعند الصباح قال لي : « لم أستطع النوم في الليلة الماضية لاحتمال أن تصابي بالزكام » . وفي أحد الأيام ، جاء ضيوف كثيرون إلى بيت الإمام ، حينها جاء الإمام إلى المطبخ وقال : « لأن الأوعية اليوم كثيرة ، جئت كي أساعدك » .

من مميزات الإمام أيضاً علاقته بالدعاء والتوسل . ففي نوفل لوشاتو وفي ليلة عاشوراء طلب الإمام قراءة مجلس عزاء ، ورغم مشاغله الكثيرة ووضع الثورة الحرج ، جلس الإمام يستمع إلى القراءة ، ثم انهمرت دموعه وبكى بشكل أعجز عن نقله لكم .

وهناك أيضاً اهتمام الإمام بمتابعة الأخبار ، وهذا بخلاف ما كان

يتصوره البعض من أنه لا يستمع إلى الراديو أو إلى أي وسيلة إعلامية إلاّ بعد حدوث حادث ما . ولكن ما شاهدته هو أن الإمام بـالإضافـة إلى استماعه إلى أخبـار إيران ومتـابعتها بصـورة منتظمـة كان يسمـع أخبار العالم التي تذاع باللغة الفارسية . وكان الأخوة موظفين لترجمـة جميع المواضيع والأقوال التي تطبع في الجرائد أو المجلات فيما يتعلق بإيران لتقديمها إلى الإمام . فكان لا يترك صغيرة تمر دون أن يتابعها .

مسألة أخرى تبرز جانب مهم من شخصية الإمام . فحينما قـرر الرجوع إلى إيران طلب من الشهيد عـراقـي أن يجمع كـل الأخوة لأن لديه عمل معهم . وفي الاجتماع قال لهم الإمام : « أنا أرفع يدي عن بيعتكم لي ، ولا أرضى بأن تقعوا في المصـاعب والمشاكـل لأجلي . غداً سوف أذهب بمفردي . وإذا كان لأولئـك شيء فهم يريـدونني أنا ولستم المقصودين ، فإذا كان لكم عمل في الدول الخارجيـة أو جئتم من دراستكم ، فبإمكانكم الرجوع إلى ما كنتم عليه . وإن شاء الله إذا صار هناك برنامج في إيران يمكنكم المجيء » . هذه الحادثـة ذكّرتني بيوم عاشوراء مع الحسين (ع) وأصحـابه ، عنـدها أجهش الأخـوة في البكاء ، وبدأوا يجيبون الإمام . أحدهم قال : « إذا قتلت مئـة مرة ثم أحييت فلن أتخلى عنكم » . وباختصار كل واحد قال شيئاً . عندها قال الإمام : « قصدت في ذلك أن لا تلقوا بأنفسكم في الخطر من أجلي » .

وعندما رجع الإمام إلى إيران سأله أحد الصحـافيين الأجانب : « ما هو شعورك وقد رجعت إلى وطنك؟ » فقال الإمام : « لا شيء » . هذا هو الإمام يقول ، أنـا أعمل طبق الأوامـر الإلهية وأؤدي واجبي ، أكان ذلك في نوفل لوشاتو أو في أرض إيران أو العراق . . ليس هناك فرق في أي مكان أكون .

حجة الاسلام رحیمیان

مجلة باسدار إسلام عند الإمام :

كان ناشرو المجلات في إيـران يرسلون عـادة إلى مكتب الإمام نسخاً من مجلاتهم ، ونحن بدورنا كنا نرسل له نسخة من مجلة باسدار إسلام . لكن الإمام قال في أحد الأيام : ليس لدي مجال لمطالعة كل هذه المجلات فلا ترسلوها إليَّ . . .

وحين وجدت أن المجال مناسباً استـأذنت لتقديم مجلة بـاسدار إسلام في محضر الإمام للتبرك، واستمر ذلك حتى عدد ـ ارديبهشت ـ سنة ١٣٦٨ هـ ش وهـو آخر عدد كان الإمام فيه على قيد الحياة .

وكـانت المجلة تقدَّم إلى الإمـام بشكـل منتـظم ، ومن اهتمـام الإمام بها كان يطالع العناوين ويتصفـح المجلة كلها . . . وكـان ذلك باعث سرور بالنسبة لي ولسائر العـاملين في المجلة . . فيعطينـا ذلك اطمئناناً قلبياً حيث أنه لا سمح الله لو وجد أي انحراف في المجلة فإن الإمام سيبين ذلك برؤيته الإلٓهية ويخبرني به .

لذلك فقد كانت تُقدَّم إلى الإمام وبشكل مرتب ومنظم نسخة فور صدور عدد من المجلة وذلك طوال فترة تشرفي بخدمته . . وكـان من

ضمن أعماله يتصفح المجلة ويتأمل غلافيها الأول والأخير .

وأذكر أن الغلاف الأخير لأحد الأعداد كان يحتوي على لوحة ملونة من كلام المعصومين عليهم السلام ، فأثارت اهتمام الإمام بشكل كبير حتى أنه أخذ المجلة معه إلى داخل مكتبه مع التقارير الأخرى التي تحتاج إلى المطالعة والتحقيق بشكل دقيق .

وفي أحد الأيام وعلى أثر غفلتي . . تأخر أحد الأعداد من المجلة عن الوصول إلى يد الإمام عدة أيام بعد صدوره . . فذكر الحاج السيد أحمد ـ الخميني ـ أن الإمام طلب العدد الجديد للمجلة قائلاً : إنهم لم يجلبوا العدد الجديد من المجلة إليَّ !؟

فطلبت المعذرة ومباشرة أوصلت ذلك العدد إليه . . والجدير ذكره أنه في ذلك العدد كان قد نشر القسم الثالث أو الرابع من حياة الإمام برواية آية الله بسنديدة وقد تحدث السيد أحمد عن الإمام وقدرته على التذكر التي كانت تبعث على التعجب حيث أنه على رغم سن التسعين ومرور الزمن كان الإمام يذكر ملاحظات دقيقة جداً لا تزال باقية بذهنه .

وبالرجوع إلى ما ذكر التفت أولاً إلى أن الإمام طالع هذه المجموعة التاريخية المذكورة فأمضى بالتالي ما هو وارد فيها ، وثانياً عدم اعتراض الإمام على المسائل المذكورة في المجلة وبذلك فقد أمضى على صحتها أيضاً .

وفي مورد آخر ، عندما طرحت مسألة مؤامرة الآيات الشيطانية والكاتب المرتد سلمان رشدي ، فقد انتقدت مجلة باسدار إسلام وبشكل حاد نسبياً التعرض غير المناسب لبعض الوزارات في مواجهة هذه المؤامرة ومطلقيها ـ أعني بريطانيا ـ وأعقبت ذلك بشكاية وانتقدت

الوزير المحترم عند الإمام .

ثم مضت عدة أيام وكذلك أسـابيع على تلك الشكـوى ولم يبدِ الإمام أية ردة فعل على تلك الشكايـة والانتقاد بـالرغم من أنني يـومياً كنت آتي إلى الإمام .

فقد كان هذا نموذجاً من الجمـع بين الحماية الشديدة لمسؤولي النظام الإسلامي وإجازة الانتقاد البنـاء لأعمالهم في المنشـورات التي تحفظ الثورة والنظام .

الاستفتاءات في مجلة باسدار إسلام :

إن باسدار إسلام كانت تفخر دائماً بأن أكثر أعدادها كان يزينهـا نشر استفتاءات جديدة من حضرة الإمام .

وبعد صدور عدة أعداد تحوي الاستفتاءات وبسبب تهافت الناس الواسع على ذلـك بادرت بعض المـطبوعـات الأخرى إلى نفس ذلـك العمل من دون التنسيق مع مكتب الإمام . . فامتنع الإمام عن إمضـاء هذا العمل من أجل منع الهرج والمرج في مسألة طبع استفتاءاته .

وإن كان هذا الأثر باعثاً لوقفـة صغيرة في مجلة بـاسدار إسـلام ولكن مـع ذلك أعيـد طبع الاستفتـاءات في المجلة بوضـع أكثر متـانة وبإجازة خاصة من الإمام لباسدار إسلام .

مع الالتفات إلى أنه وخلال السنوات الماضية كانت الاستفتاءات ترسل حتى تمهر أجوبتها بختم مكتب الإمام حيث كنت آخذ الأجوبـة بعد ذلك من مكتب الاستفتـاء ، ولكن في السنوات الأخيـرة أصبحت أقدم كل شهر ذلك إلى الإمام فيطالعها واحدة واحدة ثم يمهرهـا . . . وبذلك كانت الاستفتاءات في هذه السنوات مختومة من الإمام مباشرة

حيث كانت تقدمها المجلة بعد ذلك للأمة .

حفظ المراتب في التعامل مع الآخرين :

كان الإمام يعرف الأشخاص ويقيّمهم بشكل دقيق ومثير للتعجب فقد كان لديه مع كل شخص نوع خاص من العلاقة وتعامل مناسب لشأن كل منهم ، وكان الإمام دائماً مقيداً ومرتبطاً في حفظ شؤون ومراتب الأفراد على أساس المعايير الإلّهية .

وفي بعض الموارد كان سر ولغز تصرف الإمام في الإقبال على الأشخاص أو عدمه غير منتظر ومأنوس . وفي بعض الأحيان كانت تبقى المسائل سراً لسنوات من الزمن ثم تتضح وتحل بعد ذلك ولكن سر الروح العالية والسامية للإمام تبقى مثاراً للتعجب أكثر !

في أحد الأيام كان مقرراً أن يلتقي أحد الوجوه الثورية بالإمام ويتشرف بمحضره المبارك . . . فاجتمع حول الإمام عدد من الأخوة في الساعة المحددة ، ومع علمنا بأن تلك الشخصية كانت عاشقة للإمام ظنّنا بأنه سيكون لها لقاء حميم معه ولكن عندما دخل هذا الشخص ومع أنه وبكل احترام انحنى أمام الإمام على ركبتيه وقبّل يديه المباركتين ، رأينا بكل تعجب كيف عامله الإمام كأي شخص عادي ، وبالرغم من أن كل الحاضرين في الغرفة فسحوا المجال لدخول ذلك الشخص ، فلم يتحرك الإمام أدنى حركة. لقد غرق الجميع بعد رؤية ذلك في التعجب المبهم والقلق . وبعدة مدة علمنا أن هذا الشخص ذهب بإرادته إلى إيران وأصبح حراً هناك (هذا في فترة حكم الشاه) فانتبهنا عندها إلى النظرة العميقة للإمام ، وأولئك الذين كان يشغل السؤال أذهانهم وجدوا جوابه بعد عدة أشهر . . وهناك عدة حوادث أخرى كثيرة مثل هذه كانت تحل مع مرور الزمن وتظهر الرؤية العميقة والفكر

البعيد للإمام الذي لا يدرك حده .

من جهة أخرى كان للإمام علاقة محبة خاصة مع بعض الأشخاص الذين كانوا عاديين في نظر الآخرين ومن جملة هؤلاء المرحوم الشيخ المسيب الذي كان من أصحاب الإمام الخاصين وقد توفي قبل فترة وجيزة من رحيل الإمام (قده) متأثراً بمرض السرطان . كان الإمام يظهر علاقة المحبة لهذا الشخص فوق ما كان يتوقع منه ، واستمر ذلك حتى آخر أيام حياته إلى حد أنه في إحدى المرات ذُكر اسمه أمام الإمام فقال الإمام متسائلاً :

« الشيخ المسيب نفسنا » ؟!

لقد كانت تظهر وتبرز بصورة أكبر مراتب الاحترام ودرجات التعامل المختلفة التي كان يوليها الإمام للأفراد والأشخاص المختلفين إلى جلساته التي كانت تعقد في بيته في النجف الأشرف حيث كانت تعقد كل ليلة جلسة تطول من ساعتين ونصف بعد المغرب إلى ثلاث ساعات .

وكان الشهيد مصطفى الخميني يجلس عادة بجانب باب الدخول وكان الإمام يجلس في الطرف المقابل بجانب الباب الآخر من الجهة الداخلية حيث يؤم عادة هذه الجلسات الطلاب والفضلاء وعلماء النجف وأحياناً بعض الذين كانوا يأتون لزيارة الإمام .

كان الشهيد مصطفى يقوم لكل شخص يدخل تقريباً من دون استثناء ولكن الإمام كان يتصرف بشكل آخر . . فقد كان يجيب بعض الأشخاص برد السلام فقط ، وكان يقول للبعض الآخر إضافة إلى ذلك أيضاً « مساكم الله بالخير » ، وكان يتحرك أحياناً حال جلوسه بحركة

خفيفة لعدّة آخرين ، وقد يضع يديه على الأرض مدلاً على أنه يريد القيام لبعض الناس ، ولأشخاص آخرين كان يرتفع إلى ما دون النصف في قيامه أو يقوم لبعض منهم نصف قيام ، وكان يقف في موارد أخرى وقوفاً تاماً ، ومن بين ذلك ـ حسب ما كنت شاهداً ـ نهوضه الكامل لشخصين إضافة إلى أنه أثناء إيابهما وذهابهما كان يشيّعهما إلى الباب وهما المرحوم آية الله بحر العلوم والمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين دهاقاني اللذان كانا من العلماء المعمّرين والمحترمين في النجف الأشرف .

الملاحظة الملفتة في كل هذا هو أن معاملة الإمام للأشخاص كانت مختلفة ومتفاوتة بحسب مراتب وشؤون الأشخاص ، فقد يعامل أحد الأشخاص تعاملاً ثابتاً وعلى نحو واضح تبعاً للشأن الخاص لهذا الشخص ، ولكن الشيء الملفت أكثر هو أنه أحياناً قد يكون لشخص واحد شأنان في مجالين وفي هذه الحالة يكون للإمام تعامل متفاوت مع كل شأن فيه ومتناسب مع ذلك الشأن .

مسألة المعاشرة مع الأخوة :

في هذه المسألة تجد الإمام يفيض بالمحبة واللطافة والعطف بحيث يسلب الإنسان عن ذاته ، لقد كان الإمام شمساً أذابت البحور القلبية المتجمدة . . كان بحراً تضيع أمواج القلوب في أمواجه .

ولكنه في مجال أداء الوظيفة وفي محيط أعماله كان جبلاً راسخاً وبنياناً مرصوصاً ومتيناً تتبدل عواصف الحادثات أمام صلابته وعظمته إلى نسيم لطيف، كان قمّة شامخة . . روحيّته العالية انحنت فقط أمام الملكوت الأعلى في أرقى تسليم . لقد كان الإمام في هذا المقام ينقطع عن كل الروابط والعواطف المقابلة للحق ولم يكن يعرف في

ذلك أي شخص أو أي شيء غير رضا الله تعالى . وفي الخلاصة لقد كان الإمام في تعامله مع الناس يراعي بشكل ثابت ودقيق المراتب الطولية والعرضية لهم .

وبشكل كلّي ، كان الإمام في مجال العمل وأداء الوظيفة قاطعاً وجديًّاً جداً ، وفي المعاشرة مع الأحبة كان يمضي فيها إلى حد المزاح واللطافة والظرافة المؤدبة . . ففي المنزل وبين العائلة كان الإمام نموذجاً لأفضل زوج وأب وجد محبوب ، وقد كنا نرى مرات ومرات إحترام الإمام الزائد لآية الله بسنديدة كونه الأخ الأكبر للإمام وأستاذته في طفولته وبداية شبابه ، لقد كان الإمام يحترمه كثيراً كأب وأستاذ .

وكان مجلس أنس الإمام مع أخيه الأكبر بعيداً عن أجواء المسائل السياسية وقيادة العالم الإسلامي ، كان يسأل عن أحوال أخيه ويشخص المشاكل المحتملة عنده ولم يكن لدى الإمام أي مشكلة من تحمل سماع الأشياء العادية والبسيطة جداً من قبل أخيه كخراب حنفية الماء والمغسلة وما إلى هنالك .

أمانة من بعد الرحيل :

في موارد كثيرة كان الإمام بمناسبة وغير مناسبة يسأل عن أحوال الناس ابتداءً بالساكنين معه إلى غيرهم ويهتم بأمورهم وأوضاعهم . ومع الالتفات إلى تراكم الأعمال والمشاكل والمسؤوليات الصعبة للإمام خاصة في زمن الأزمات والضغوطات النفسية والضعف الجسدي له أيضاً يصبح الاهتمام بأمور الناس وضعاً غير متوقع وغير منتظر من قبل الإمام خصوصاً إذا ما كان مورد الاهتمام شخصاً منسيًّا ومغفولاً عنه في المجتمع .

ومن باب النموذج : قبل فترة من رحيل الإمام وفي أحد الأيام

استفسر الإمام عن أحوال إحدى الشخصيات العلمية في الحوزة العلمية في قم ـ هذه الشخصية وإن كانت عند الخواص تعد من الوجوه العلمية والأخلاقية وصاحبة مقامات معنوية كبيرة ولكنها كانت في الوسط العام منسية وغير معروفة ـ وقرر الإمام أن يُبعث إليه بمبلغ من المال .

تقرَّر أن أذهب أنا إلى قم لأقدم له المبلغ ولكن شهر رمضان أخّر ذلك بسبب مشكلة قصد الإقامة هناك ، ثم مرض الإمام بعدها واشتدَّ مرضه فانتقل إلى المستشفى وبعد فترة وجيزة ارتفع إلى لقاء الله تعالى . لقد كنت حتى ذلك الوقت لم أوفق لإيصال الأمانة ، ومن أجل تسوية الحسابات وتحويل الأموال الشرعية إلى إدارة الحوزة العلمية في قم على حسب وصية الإمام فقد بدلت الحوالة المذكورة إلى شيك مصرفي وذهبت إلى قم بالنهاية ولكن هذا العالم لم يكن موجوداً فيها وكذلك في المرة الثانية والثالثة وأخيراً وجدته بعد عدة أشهر فاتصلت به في بداية الأمر هاتفيَّاً . . وقلت له : أنا فلان ؟ وبلحاظ لطفه السابق بي ومحبتي له من فترة بعيدة فقد فرح كثيراً . . وعندما قلت له : لديَّ أمانة لكم من الإمام . . .

عند ذلك شعر أنه اشتبه في سماعه ذلك والتفتُّ إلى أنه لم يستوعب فكررت القول مرة أخرى : إن معي أمانة لكم من الإمام وأطلب المعذرة منكم لأنني تأخرت في إيصالها لكم . ومع أن لسانه كان فصيحاً وطليقاً إلاَّ أنه أجاب متلعثماً : من الإمام . . ؟ الإمام . . ؟ أية أمانة . . ؟ ثم لم يدع بكاءه مجالاً للكلام .

ثم اتفقنا أن أذهب إلى منزله . وحين وصولي رأيته واقفاً ينتظر في الزقاق فدخلنا مضطربين إلى بيته المتواضع وجلسنا في غرفة الاستقبال الصغيرة وكانت الساعة في حدود الثالثة تقريباً في صيف قم

الحار فلم تستطع المروحة الصغيرة تخفيف لهيب الجو الحـار وحرارة المحبة القلبية وتلطيف الجو الحامي .

لـم يكن هذا العالـم مصدّقاً حتى وقت لقائي به أنني جئت إليه من قبل الإمام ولـم يتوقع أبداً أن تصل إلى يديه أمانة من الإمام بعد ثـلاثة أشهر من رحيله ، ولـم يكن يعلم ما هي هذه الأمانة . فحلّ البكاء محل السؤال عن الأحوال وعندما كنت أشرح لـه طبيعة مـا جرى كـان يبكي بكاءً شديداً حتى أني أحسست أن هذا البكاء غير عادي ولا بدّ أن يكون هناك أمراً خاصاً في ذلك . . ثم استطاع العالـم أن يتحدَّث شيئاً فشيئاً .

علمت أنه كان مـريضاً وقـد أمضى الصيف في مشهد وقـد عاد مجدداً إلى قم ، وأثّر به كثيراً أن الإمام ذكره وفكّـر به بـدون أن يكون لديه أي سبب بارز وظاهر ، فاحترق قلبه لـذلك واشتعـل مجدّداً على فراق الإمام وفقدانه .

غير أنَّ ما أثّر به أكثر هو لطف الإمام الكبير حيث أمر بإرسال هذا المبلغ المحدد إليه ثم التيسير الإلٰهي بأن يحصل التأخيـر إلى ما بعـد الوفاة وعدم وجوده في قم في المرات السابقة ثم وصول الأمانة إليه في ذلك اليوم بالتحديد (وكان آخر يوم في الشهـر) وفي تلك الساعـة !! فهو في تلك اللحظة لم يكن لديه أي مال لمصروفـه ومعيشته وبتعبيـر أوضح لم يكن لديه في ذلك اليوم حتى خبز للعشاء . وكأن طلب الإمام وأمره مع سلسلة العلل والأسباب اللاحقة التي أخّرت وصول الأمانة قد قضت حاجة هذا الرجل في ذلك اليوم وفي تلك اللحظة بـالتحديـد ، ويمكن أن يقال في هذا المجال أنه لا يوجد أي صدفة في ذلك بل أن المشيئة الإلٓهية قد أجرت أعمالها بوسيلة عبدها الصالح لتقضي حاجة هذا الرجل الإلٓهي .

لم يكن الإمام أهل مداهنة أو مجاملة :

لم يكن الإمام ليداهن أو يجامل في عمله أو في رعاية الضوابط الشرعية (في الأمور البسيطة أو العظيمة) مع أي شخص حتى ولو كان من خاصة أصحابه وأحب الأشخاص إليه بـالرغم من الأعمـال الكثيرة والمتنوعة والمسؤوليات الواسعة التي كان يقوم بها . إنني ومع تدقيقي في طول هذه المدة لم أجد مورداً واحداً ابتليَ فيه الإمام أمام الساحـة الإلّهيـة فالإمـام لم يكن ليجـزم بـأي فعـل قبـل أن يصـل بنفسـه إلى التشخيص القطعي أو أن تتم له الحجة الشرعية من طريق آخر .

والملاحظة الملفتة هي عموماً أنه عندما كان يصل إلى التشخيص القطعي لم يكن يُشاهد بعد ذلك أنه كان قد وقع في اشتباه أو خطأ وإذا ما وقع شيء من هذا القبيل فـإنه يكـون من القسم الثاني حيث تكـون البينـة التي تشكـل ركيـزة صـدور الحكم مستنـدة إلى نـظر وتـأكيـد الأشخاص الموثوقين الذين يطمئن إليهم .

والعجيب في ذلـك أن الإمام عنـدما كـان يتحدث عن الاشتبـاه الحاصل في هذا العمل (كانتخاب بعض الليبراليـين مثلاً) فإنه كـان يجعل ذلك على عاتقه بكل شهامة وكرامـة ولا يلوم أو يوبـخ الآخرين على اشتباهاتهم .

فالإمام في الأمور التي تحتاج إلى بيّنة كان يعمـل على أساسهـا ويعتبرها حجة شرعية إلاّ إذا أحرز بنفسه خلاف ذلك .

وعلى سبيل المثال : في مسألة صدور الإجازات الحسبية لبعض الناس وعندما لم تكن لدى الإمام المعرفة اللازمة بالشخص الذي يريد الإجازة فلا يمكن أن يقبل طلبه من دون تـوثيق شخصين عادلين لـه . ففي جماران طلب أحد الأشخاص ، من الذين كانوا يقدّمون المساعدة

للمكتب ، إجازة من الإمام وأيّده ووثّقه أحد الحاضرين ولكن الإمام لم يكتفِ بذلك وقال وهو ينظر إليّ :

« يجب أن يوثّقه شخص آخر أيضاً » ، ومع سكوتي ، انتفت المسألة .

أذكر في النجف الأشرف أن المرحوم الحاج الشيخ نصر الله خلخالي الذي كان قوله يعدل قول عشرات الشهود والعدول عند المراجع وكان أيضاً مكرماً ؤمحترماً جداً عند الإمام قد وثّق شخصاً مصرّاً على أخذ إجازة حسبية من الإمام ، ولكن الإمام قال بكل صراحة : « أنت شخص واحد ويجب أن يؤيده شخص آخر أيضاً » .

وأمّا بالنسبة إلى الأمور التي لا تكون مورداً للبيّنة ويكفي فيها تشخيص السائل في صدور الإجازة والحكم لم يكن الإمام ليجيب بشكل قد يخطىء فيه ويبتلى بعد ذلك أمام الله تعالى ، بل كان يجيب عادة بـ : إذا . . . ، إذا كان . . . ، في الفرض المذكور . . . وأمثال ذلك .

عرضْتُ في أحد الأيام أمام الإمام وفي محضره المبارك مسألة الراتب الذي أحصل عليه من العمل والتدريس والذي يؤمن لي حد الكفاف في معيشتي ومع ذلك تدفع لي شهريّة الحوزة أيضاً ، فسألته هل تجيزون صرف هذه الشهرية لأجل تأمين بعض حاجات المجلة (باسدار إسلام) التي هي في خدمة ترويج الإسلام . فأجاب : « إذا كان هناك حاجة فلا إشكال » .

وفي نموذج آخر : لم يكن الإمام يجيز صرف السهم المبارك للإمام في بناء المساجد إلاّ بشرطين ، الأول : إذا كان هنالك حاجة

لبناء هذه المسجد ، والشرط الثاني : إذا كان لا يمكن تـأمين الأموال اللازمة لبنائه من طرق أخرى كجمع التبرعات ووجوه البر . . لذلك إذا كان السائل ملتفتاً إلى الشرطين المذكورين، وقيّد ذلك في متن سؤاله يـجيبه الإمام : في الفرض المذكور يجوز لهم أن يـدفعوا ، وإذ لم يلتفت السائل إلى ذلك ولم يذكره في سؤاله فقد كان يجيبه : « إذا كان المسجد مورد حاجة ولا يمكن تأمين ذلك من طريق آخر فهم مجازون في الدفع». والحديث هنا في أصل بناء المسجد وأمّا في مجال لوازمه المستعملة من قبيل الرخام والجفصين والفرش وغير ذلك فإن الإمام عادة لم يكن يجيز صرف الأموال الشرعية فيه . وهناك نماذج كثيرة تبيّن ذلك من جملتها أن شخصاً استجازه في دفع مبلغ ثلاثين ألف تومان من سهم الإمام من أجل فرش مسجدٍ في شارع أبي ذر في طهران فأجابه الإمام : « لا أجيز ذلك » .

لم يكن الإمام عادة يجيز صرف الأموال الشرعية في طبع الكتب والمنشورات ، وحسب ما وصل إليه نظري فإن الإمام لم يجب بالإيجاب في أي مورد من موارد طلب الإجازات المتعلقة بصرف الأموال الشرعية لطبع كتاب أو تأسيس مكتبة وأمثال ذلك . وقد كتب أحد الفضلاء في قم رسالة إلى الإمام لكي يسمح له بصرف سهم الإمام المتعلق به وبأصحابه من أجل طبع ونشر أجزاء من الكتيّبات الدينية ، فأجاب الإمام : « أنا لا أجيز ذلك في كتاب يطبع تدريجياً» ، ولكن أحد الحاضرين أيّد الطلب ، فقال الإمام مرة ثانية : « في هذه الصورة لا أجيز ذلك » .

بعث أحد فضلاء باكستان برسالة عدّد فيها الحاجات الثقافية لباكستان وأكد في رسالته على أهمية وفائدة مجلة باسدار إسلام لهم ،

وطلب من الإمـام أن يسمح بتـرجمتهـا ونشـرهـا بلغـة الأردو ، ولكن وبالالتفات إلى مواجهة الإمام سابقاً لهذا النوع من الموارد رأينـا أن لا نطرح هذا الموضوع على الإمام ولكن جناب السيـد رسولي وبلحـاظ اهتمام الإمام بالمجلة فقد أطلعه على الرسالة . وعندما وصلت الرسالة إلى الإمـام قال حسب مسلكـه الخاص من دون أي تـأخر أو مـلاحظة الارتباطات : « لا يمكنني أن أجيز ذلك » .

الإمام في أشعة إيمانه الخـالص والصادق كـان أيضاً في سـاحة العمل متقدّماً وفي الطليعة ليس فقط من جهة الالتزام الشديد بالعبادات والآداب الإلهية بل كان حازماً في رعاية القرارات والالتـزام بالقـوانين العامة ولم يكن يستثني نفسه أبداً عن الناس العاديـين . وبالالتفات إلى أن كل القرارات والقوانين للنظام الإسلامي تأخذ مشروعيتهـا من مقام ولايته فقد كان الإمام بنفسه أكثر الأشخاص التزاماً وتقيّداً بـالنسبة إلى رعاية ذلك . إنّ ذكر نماذج من تلك الموارد يمكن أن يصبح قدوة وأسوة عينية لسلوك المسؤولين في المجتمع الإسلامي .

في مسألة الأموال الشرعية التي كانت تصل إلى الإمام من مقلّديه في خارج إيران بالعملة الأجنبية وكان يلزم أحياناً تبديل ذلك إلى الريال الإيراني . كان الأمر يدور بين تصريفه من المصرف المركـزي وقبض ثمنه بالقيمة الحكومية أو أن يباع بشكل حر بحيث يصرف بعد ذلك في موارده الشرعية . وفي الواقع هناك تفاوت بين القيمة الحكومية والقيمة الحرة (كان سعر الدولار بالقيمة الحكومية سابقاً ٧ تومانات وفي السوق الحرة فوق المئة تومان) ، وإن هذا التفاوت يؤثر في الأموال المخصصة للمستحقين . وبهذه الحالة قال الإمام : « إسألوا السيد موسوي ـ السيد مير حسين الموسوي رئيس الوزراء ـ فإذا لم يكن هناك إشكال من نظر

الحكومة فاشتروها بالشكل الحر » .

هذا الالتزام والتقيد البارز من قبل الإمام بالقرارات والقوانين المنطقية لم يكن منحصراً بقوانين النظام الإسلامي بل كان أسلوب الإمام مشابهاً لذلك في رعاية المصالح العامة للمجتمع وحفظ الأموال حتى في زمن النظام البهلوي الفاسد . ومن تلك القضايا ما كان ينقله آية الله الشهيد مصطفى الخميني : « أثناء عبور الإمام لأحد الشوارع ـ وكان ذلك في همدان حسب الظاهر ـ ولكي لا يمر الإمام على القسم المزروع بالحشائش في وسط الشارع فقد قطع مسافة أطول لكي يعبر الشارع من التقاطع ولا يضطر للسير على الحشائش ولو بمقدار خطوة واحدة » .

إنني وبعنوان كوني أحد الخادمين لسنوات عديدة في مكتب الإمام أستطيع القول بجرأة وحق إنني لم أرَ من الإمام في حدود حياته الخاصة أي شكل من أشكال التخطي لقرارات الدولة الإسلامية ، ومن باب المثال الفواتير والحسابات المتعلقة بالماء والكهرباء والتلفون و . . . و . . . فبمجرد وصول هذه الفواتير كانت تدفع في أقرب فرصة ولم يكن الإمام يجيز بأي شكل للمنتسبين لبيته ولمكتبه بأن يخطو خطوة واحدة خارج محيط القرارات والضوابط للحكومة الإسلامية .

المصدر : باسدار إسلام ، العدد : ١٠٧ ، ص : ٣٤/ والعدد : ١٠٨ ، ص : ٣٥ .

الإمام وخدمة الناس واحترامهم

من أهم المميزات المهمة والعظيمة في نهج الإمام وخطه تكمن في سلوكه الشريف مع الناس . فهذا الإمام العظيم الذي هتفت باسمه القلوب وتهاوت أمام صلابته العروش وأشرقت ثورته المحمدية الأصيلة لتكون الأمل الساطع في ظلام شقاء الحفاة والمحرومين والرجاء الأكيد في مهجة كل مستضعف يعشق العزة والكرامة .

هذا الإمام كيف كان ينظر إلى الناس وكيف كان يعاملهم ؟

وهذا العارف السالك والمجاهد في الله كيف كان يرى خدمة المجتمع وأهله ؟

يبيّن الإمام المقدس ذلك في وصيته لابنه السيد أحمد . فبعد أن يحدثه عن العرفان والزهد في الدنيا ، يقول له :

« . . . إن الذي قلته ليس بذلك المعنى وهو أن تبتعد عن خدمة المجتمع وتجلس في زاوية كلّاً على خلق الله ، فإن هذه صفات الجاهلين المتنسكين والدراويش أصحاب الدكاكين . وقد جاءت سيرة الأنبياء العظام ـ صلّى الله على نبينا وعليهم أجمعين والأئمة الأطهار عليهم السلام ـ والعارفين بالله المتحررين من كل قيد وغلٍ المرتبطين بالساحة الإلَهية بالنهوض والثورة ضد الحكومات الجائرة والفرعونية في

أزمانهم بكل قوة وقد سعوا وتحملوا الآلام لبسط العدالـة في العالم ، وقـد أعطونـا دروساً في ذلـك ، فإذا فتحنـا عيوننـا وأصغينا بـأسماعنـا فسيكون طريقنا الواسع : « من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » .

تلك هي نظرة الإمام الإلٓهية إلى خدمـة المجتمع ، وهـل هناك خدمة للناس أعظم من إنقاذهم من مخالب الشياطين القاتلة وإيصالهم إلى سـواحل العـدالة المحمـدية بعـدما كـانت أمواج الـظلم تتقاذفهم وتتلاعب بسفنهم الضعيفة فتكسرها تـارة وتغرقهـا أخرى . لقـد كانت خدمة الإمام كذلك لعامة الناس ولكنه بنفس الوقت لم يغفـل أبداً في حياته الشريفة عن خدمة أفراد الناس بـالشكل الجـزئي الخاص أيضـاً وهذا ما يتضح من بعض ما يروى عنه (قده) .

فـالإمام (قـده) قد فهم حقـاً ما قـاله رسـول الله ﷺ وطبقه في سلوكه فعلاً . قال رسول الله ﷺ : « **الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيتٍ سروراً** » .

يروي السيد حميد روحاني أن أحـد العلماء نقـل له بـأنه « قـد تشرفنا في إحدى السنوات لزيارة «مشهد» أنا والإمام وعدة علمـاء آخرين في الصيـف ، وأخذنا هناك بيتاً مستقلاً وكان برنامجنا أننا وبعد ساعة أو ساعتين من الظهر كنا ننهض من النوم ونذهب سـوية إلى الحـرم وبعد الـزيارة والصـلاة والدعـاء نعود إلى البيت ونجلس في الـدار الهـادىء لنشرب الشاي .

وكان برنامج الإمام بأن يأتي مع الجميـع إلى الحرم ولكنـه كان يختصر دعاءه وزيارته ويرجع لـوحده إلى البيت ينـظف الدار ويكنسـه

ويفرش الأرض ويحضر الشاي ، وعندما نرجع من الحرم كـان يسكب لنا الشاي .

وفي أحد الأيام سألته : ما هذا العمل ؟ إنكم تختصرون الزيارة والدعاء من أجل أن تهيأوا الشاي للأخوة فترجعون إلى البيت بسرعة .

فقال الإمام : « أنا لا أعتبر أن ثواب العمل بأقل من ثواب الزيارة والدعاء » .

وبهذه النظرة الرائعة والفكرة الأصيلة عرف الإمـام (قده) كيف يقدم للإنسانية بشكل عام وللمسلمين بشكل خاص أعظم خدمـة وهي إقامة الدولة والحكومة الإلّهية التي يشعر فيها الإنسان بالعزة والسعـادة في الدنيا ويلقى بها الخلود الأبدي والسعادة السرمدية في الآخرة .

فالإمام (قده) مع كل الأهمية التي يحيط بهـا صلاتـه والتزامـه بأدائها في أول وقتها ، فإنه كما يروي السيد روحاني أيضاً قد أخّرها من أجل إنقاذ بعض المؤمنين .

فعند غروب أحد الأيام عندما أراد النـظام العراقي إعـدام بعض المؤمنين كـالقبـانجي والبصـراوي لم يعـطل الإمـام صـلاة جمـاعتـه فحسب ، بـل لم يؤدِ الصـلاة في أول وقتهـا وطلب حضـور بعض المسؤولين هنـاك ليمكنـه أن ينجي أرواح عـدة مسلمين من المـوت والإعدام .

وهذا ما يوضحه الإمام في وصيته لابنه السيد أحمد :

« ولدي لا تخلِ نفسك من تحمل عبء المسؤولية حيث خدمة الحق في صورة خدمة الخلق » .

وخدمة الناس ، هذا الفعل العظيم ، كان يجسده الإمام دائماً في أروع صورة .

يروي حجة الإسلام رسولي أن والده كان مريضاً جداً والطبيب الذي كان يعالجه فقد الأمل من حاله ولم تكن أوضاعهم تسمح لهم بالذهاب لغيره .

وفي إحدى الليالي في الساعة الحادية عشرة ليلاً دقَّ الباب ، وعندما فتحناه رأينا الإمام الخميني مع المرحوم الدكتور المدرسي ـ الذي كان في ذلك الوقت أفضل وأشهر الأطباء في قم ـ واقفين أمام الباب . فبادراني بالسؤال فوراً عن حالة والدي ، ثم دخلا المنزل وكانت غرفة والدي صغيرة وبسيطة لذلك وقف الإمام أمام بابها مقابل الفراش بينما دخل الطبيب .

لقد كان والدي في حالة شبه غيبوبة وكنت مع أمي المرحومة قلقين جداً من وضعه ، فجلس الطبيب وعاينه معاينة دقيقة استغرقت حوالي نصف ساعة والإمام في كل هذه المدة واقفاً أمام الباب ينظر إلى وجه أبي . وعندما انتهى الطبيب سأله الإمام بشكل خاص : كيف أصبحت حالته ؟ فقال الطبيب : الحمد لله تجاوز مرحلة الخطر .

وهكذا ظهر لنا خلق الإمام العظيم حين أحضر هذا الطبيب الماهر ليعاين هذا الإنسان المريض ساعياً لقضاء حاجته ، بينما أحواله وأوضاعه كانت لا تسمح بذلك ، وبيّن بذلك المصداق الباهر لقول أبي عبد الله (ع) : « من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفَّس كربته وأعانه على نجاح حاجته ، كتب الله عزَّ وجلّ له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله » .

وعن رسول الله ﷺ قال : « **من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من هم وكربة وورطة كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات ، ودفع عنه عشر نقمات وأعدَّ له يوم القيامة عشر شفاعات** » .

هذا كله جزاء من يخدم الناس ويعينهم ويقضي حوائجهم . وقد ورد التعظيم والوعيد لمن يمنع ذلك وهو قادر على قضاء الحاجة . فعن علي بن جعفر عن أبي الحسن (ع) قال سمعته يقول : « من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أمواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله » .

فمن كان قادراً على قضاء حاجة أخيه فعليه قضاؤها وهذا ما يعلمنا الإمام إياه .

يروي حجة الإسلام رحيميان : علم الإمام بأن أحد الأشخاص الذين يعرفهم أصبح مديوناً بعدما حصل على بيتٍ ووقع في بلاء مشكل في رد ذلك المبلغ . فقرر الإمام أن يسد دينه من الأموال الشرعية ، ولكن هذا الشخص تشرف بزيارة الإمام وقال بعد اعتذار عن الجسارة في الكلام : أنا كنت أسعى أن لا أستفيد في حياتي من الوجوه الشرعية فإذا سمحتم أريد أن أستمر في هذا النهج .

ولم يقل الإمام شيئاً في ذلك الوقت ، ولكنه بعد عدة أيام أخرج قسماً من المبلغ المذكور من أمواله الشخصية وبعد أسبوعين أو ثلاثة أتمَّ تسديد بقية هذا الدين .

وبذلك قضى حاجة ذلك الشخص وأدخل على قلبه سروراً ، وقد سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال :

« **إتباع سرور المسلم** » . قيل : يا رسول الله ، وما اتباع سرور المسلم ؟ قال : « **شبع جوعته ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه** » .

ويروي رحيميان أيضاً : انتقلت قطعة أرض في أطراف أصفهان إلى أموال الإمام الخاصة من الوجوه الشرعية ، فأوكل الإمام أحد الفضلاء لكي يبيعها ويقبض ثمنها .

وبعد ذلك أُخبر الإمام أن فلاناً الوكيل الذي وكّله ببيع الأرض بدأ بذلك ولكن الفلاحين الذين يعملون فيها وضعهم غير جيد وقد جاؤوا إلى السيد بسنديدة ـ أخ الإمام ـ وهم غير مرتاحين ومنزعجون لكف أياديهم عن العمل في الأرض .

فقال الإمام بعد هذا الحديث بصوت قاطع : تعطى ـ الأرض ـ إلى نفس الفلاحين ، قولوا لهم أن يعطوهم إياها .

وحتى الأملاك والبيوت العديدة التي كانت تُقدَّم إلى الإمام ـ لا بعنوان الأموال الشرعية ـ وإنما بعنوان النذر والهبة سواء قبل الثورة أو بعدها كان وبعد قبولها يقدمها هدية إلى المستحقين والمؤسسات الخيرية . ومن جملة ذلك قُدِّم إلى الإمام عدة بساتين شاسعة فأمر الإمام بعد قبولها أن تحوَّل وتقسَّم على المزارعين الذين كانوا يعملون فيها .

وكان الإمام كثيراً ما يعطي وكلاءه ، سيما في مناطق المستضعفين ، الإجازة بمصالحة وإمهال عوائل الشهداء والمجاهدين ومن يخدمون الإسلام في دفع الخمس وحتى أحياناً بإبراء ذمتهم إذا اقتضت الضرورة . وقد كان الإمام (قده) بنفسه يفعل ذلك أيضاً مبيناً لنا كيف يساعد المحتاجين بما يناسب حالهم فينقل أحدهم : كنت في

ضائقة مالية فذهبت إلى الكثيرين ممن أعرفهم أسألهم قضاء حاجتي ، فلم يعطوني إلاً القليل . فذهبت إلى الإمام ، وعلى الرغم من أنه لا يعرفني فقد اشترى حياتي كلها وأنقذ أبنائي من الهلاك بما قدم لي من مساعدة مالية مناسبة .

ويروي حجة الإسلام ناصري : كنا نرى مسائل عجيبة في موارد الناس الذين يطلبون المساعدة المالية من الإمام . فقد كان يأتي بعض الأشخاص لطلب المال فكان الإمام يعطيهم شيئاً قليلاً وفي بعض الأحيان كانت تتم المسألة من خلالي فأعطيهم من حسابي الخاص إضافة لذلك . ولكن بعد مدة يتبين لنا أن فعل الإمام كان في محله وذلك الشخص لم تكن له تلك الصورة من الحاجة . وفي أحيان أخرى كنا نذهب إليه ونخبره بمجيء شخص بحاجة إلى المساعدة فكان يعطيه مقداراً جيداً من المال ، وبعد فترة نكتشف أن ذلك الشخص كان بحاجة فعلاً إلى ذلك .

ولا تعجبوا من ذلك فإن هذا الإنسان الإلّهي الذي وهب كل عمره الشريف في سبيل الله لخدمة المستضعفين والمحرومين ولإنقاذهم من براثن المستكبرين والمستغلين يمكن له بإذن الله أن يعرف كثيراً مما يجهله الناس العاديون ولا شك أنه (قده) كان مسدداً من المشيئة الإلهية في أعماله وتصرفاته .

يقول حجة الإسلام آل إسحاق ، وكان من أصحاب الإمام في النجف الملازمين له : عندما كنت في النجف كنت بحاجة شديدة إلى منزل أسكن فيه مع عائلتي ، وبعد سعي حثيث وجدت منزلاً بمبلغ معين فذهبت لأهيىء ذلك المبلغ واستطعت أن أجمعه من كل أصدقائي بعد أن قصدتهم ثم رجعت إلى صاحب البيت ، فقال لي :

بعد أن ذهبت أتى أحدهم ودفع لي مئة دينار زيادة عمَّا دفعت أنت ، وأنا سأعطي البيت لهذا الشخص ، ولكن بما أنك أتيت قبله فسأعطيك إياه على أن تدفع لي خمسين ديناراً زيادة وأمامك مهلة لذلك ساعة واحدة . فتحيّرت كثيراً ، من أين أجلب ذلك المبلغ بعد أن كنت قد قصدت كل أصحابي لجمع المال الذي جلبته ؟ فلم أجد أمامي سوى الذهاب للاستغاثة بأمير المؤمنين (ع) فأسرعت الخطى نحوه ، وفي الطريق قرب المقام المقدس لمحت الإمام خارجاً من بيته ، فحاولت أن لا يراني لئلا يطلب مني شيئاً وليس لدي وقت وأخشى من انقضاء الوقت دون تهيئة المبلغ ولكني لمحت الإمام قد أعطى الشيخ عبد العلي قرهي شيئاً فناداني الشيخ ثم أقبل نحوي وقال لي : خذ هذه الخمسون ديناراً من الإمام أنت بحاجة لها .

لله درك أيها الإمام ما أعظمك وأعظم أخلاقك ، فقد بينت للبشرية أن أخلاق الرسالة المحمدية ليست نظريات فارغة وإنما سلوك رائع كالذي تجسد في مسارك الرائع ومنه هذه القصة ، ففي إحدى الليالي جاء أحد الفقراء إلى بيت الإمام ولكن أحد المسؤولين قابله بسوء . فاعترض عليه الإمام بشدة قائلاً : ما هذه المعاملة ؟

فقال : لقد جاء أمس وقبله أيضاً .

فقال الإمام : دعوه يأتي فهو محتاج وصاحب الحاجة أعمى لا يرى إلاَّ حاجته فإما أن نقضي حاجته وإمّا أن نرضيه بالكلام ، فلا تؤلموا الناس .

لقد كان الإمام يعتبر نفسه خادماً لأمته لا قائداً لها وكان يحب الناس ويوصي المسؤولين دائماً أن يكونوا خدماً لهم وكان يوصي أعضاء مكتبه بقوله : « لا تعاملوا الناس بأسلوب خشن » . وكان الإمام يرفض

أن يحتجب عن الناس بل كان يحب لقاءهم ولا يبدي أي انزعـاج من ازدحام الناس أمام منزله ، وكان كثير السؤال عن أحوالهم وكـان يتألم عندما تكون هناك مشاكل تحيط بهم . يروي أنصاري كرساني : في أحد أيام شهر رمضان المبارك ، كنا في مدينة قم حيث أوقفت لقاءات الإمام كالعادة في هذا الشهر ، خرج الإمام إلينا مـرّة وقال : يـظهر أن هناك من يريد مراجعتي منذ يومين أو ثلاثة أيام وأنتم تمنعونه . فذهبنا وتحرينا الأمر وإذا بامرأة كانت تراجع المكتب منذ يومين أو ثلاثة بسبب اختلافها مع زوجها وهي تطلب لقاء الإمام من أجل رفع الاختلاف .

وهكذا قطع الإمـام منع اللقـاءات في شهر رمضـان وخرج لكي يحل مشكلة تلك المرأة .

كان الإمام في علاقته بالناس لا يضايقهم ولا يزعجهم . فعندما كان في مدينة محلات ، كان إلى جانب المنزل الذي يسكن فيه حنفية ماء كبيرة يعتمد عليها أهل الحي في سد حاجاتهم . فامتنع الناس منها خشية أن يزعجوا الإمام بالصخب والضوضـاء . وعندمـا عرف الإمـام ذلك قال : ليس هناك أي مانع من أن يأتي الناس ويسدوا حاجاتهم كما في السابق . لقد كان (قده) يسـاعد النـاس ويعينهم ويتجنب أذيتهم وإزعـاجهم ويعاملهم بلطف وعنـاية ، كيف لا وقـد كانت كـل حياتـه الشريفة مليئة بالخدمات الجمّة والراقية والعظيمة للإنسانية ككل ، وكان بنظرته الرؤوفة وعنايته الفائقة يحيط من حوله بـل كل النـاس الآخرين ويغمرهم بلطفه .

تـروي إحدى الأخـوات : « بينمـا كـانت عـائلة الإمـام خـارج البيت ، جاء آية الله مطهري وآية الله صدوقي ليتناولا طعام الغـداء مع الإمام ، فوضعت غداء الإمام في ثلاثة صحون وقدمتـه على السفرة .

فسألني الإمام : أين غداؤك أنت ؟

فلم أتمكن من الكذب وقلت : تفضلوا أنتم وأنا سأذهب إلى ذلك المبنى كي آكل شيئاً .

فقال الإمام : إذهبي وأجلبي صحناً ، ثم قسّم غداء الثلاثة إلى أربعة أقسام .

إننا نرى أن الإمام مع كل مشاغله لم يغفل عن هذه الأمور الدقيقة . تروي هذه الأخت أيضاً أنه في إحدى الليالي نامت في المطبخ نتيجة عدم وجود مكان . وعلم الإمام بذلك ، وعند الصباح قال لها : لم أنم طوال الليل لأنكم نمتم في المطبخ وكان ممكناً أن تصابوا بالرشح .

وينقل أحد الأشخاص من بيت الإمام : في أحد الأيام وبينما كنت واقفاً على السلم لأصلح الكهرباء سمعت وقع أقدام ، نظرت فوجدت الإمام يحمل صحون الأكل إلى المطبخ .

وتروي نفس الأخت السابقة : في أحد الأيام كان عدد الضيوف في بيت الإمام كبيراً ، وبعد أن جمعت صحون الغداء رأيت الإمام قد جاء إلى المطبخ ، وبما أنه لم يكن وقت وضوئه سألت : لماذا جاء الإمام إلى المطبخ ؟ فقال : بما أن الصحون كثيرة هذا اليوم فقد أتيت لمساعدتكم .

يظهر بوضوح من سيرة الإمام الخاصة أنه لم يكن يرى لنفسه امتيازاً على الآخرين ولا يقبل أن يكون متميّزاً عن الناس العاديين ، ولهذا لم يكن ليجلس في مكانه غير آبه بما يعانيه الناس من حوله بسبب هذه المسائل البسيطة جداً التي لا يعيرها أكثرنا أي اهتمام . فإن الواحد

منّا يريد من الناس أن يكونوا خدماً لشخصه ، فإن كان في الحياة العائلية وكان متزوجاً فهو يريد من زوجته أن تكون خادمة له في كل شيء ، وإن كان عازباً في بيت أهله يطلب ذلك منهم أو من إخوته الصغار ، وإن كان مسؤولاً يفعل نفس الشيء مع الذين هم تحت إمرته . وكأننا لم نسمع « بأن سيد القوم خادمهم » فمن كان يريد أن يكون سيداً في الدنيا والآخرة فليطلب ذلك من خلال خدمة الناس لوجه الله وحبه ، وليكن الإمام في ذلك قدوة لنا وأسوة حسنة في خط الأسوة الأعظم « **ولكم في رسول الله أسوة حسنة** » .

وقد جسَّد الإمام (قده) هذه الأسوة والقدوة بعمله فكان نعم الحفيد لخير وليد .

أما جمراني فينقل : في أحد الأيام التي تعرضت فيها جماران للقصف طلبنا من الإمام الذهاب إلى الملجأ ، فقال : لن أغادر مكاني هذا . فسألناه : لماذا ؟ فقال : « لا يوجد أي فرق بين وبين ذلك الحارس الذي يحرس مقر إقامتي ، فهو يملك روحاً واحدة وأنا أملك روحاً واحدة وإن كانت روحي محترمة فروحه أيضاً محترمة . وحتى أن الإمام ساوى نفسه بأبناء الشعب حين قال رافضاً بناء الملجأ له : « هل لدى كل أبناء الشعب الإيراني ملاجىء ؟ وهل يوجد فرق بيني وبين ذلك الشخص الذي يسكن في جنوب المدينة كي تبنوا لي ملجأ والآخرون لا ملاجىء عندهم » . بعدها قال السيد أحمد للإمام : « أريد أن أبني ملجأ لأطفالي وزوجتي » ، فقال الإمام : « إن كان لأطفالك وزوجتك فلا مانع من بنائه . وعندما طلب منه بعض المسؤولين في إحدى المرات الاحتماء في ملجأ ، قال لهم : ما الفرق بيني وبين ذلك الحارس الذي يحرسني هنا مع عائلتي ؟ إنني لن أترك

مكاني أبداً وأريد أن يصيب الصاروخ رأسي وأصبح شهيداً .

فالإمام (قده) كان يرى نفسه إنساناً عادياً جداً ولا يجب أن يعامل بطريقة مميزة عن الآخرين على أساس أنه قائد وله كل شيء ، وإنما على العكس كان يخشى من ذلك كثيراً . وفي معاملة الناس ، كان يسعى دائماً لاحترامهم وتقديرهم .

فعندما انتقل إلى بيته الأخير جمع الإمام أصحاب حسينية جمران وسألهم عمَّا إذا كانوا راضين عن بقائه فيها فأجابوه بأنهم يفتخرون بذلك . فقال لهم : دعوا المجاملات جانباً . وأقسم عليهم بجده ﷺ ، هل ترضون أم لا ؟ فأجابوه بالرضا .

ثم جمع النساء وسألهم أيضاً عن ذلك قائلاً : لعلكم لا تحبون ترك هذا المكان ، والذهاب إلى مكان آخر ؟ لكنهم أجابوه بأنهم راضين أيضاً . فقال الإمام عندها : إذن سأبقى . بعد أن تأكد بأنه ساكن في هذا البيت البسيط برضا أصحابه واختيارهم .

وينقل حجة الإسلام ناصري :

بينما كان الإمام في الحرم في ليلة العيد وكان الحرم مزدحماً جداً ، مددت يدي كي أبعد شخصاً كاد يصطدم بالإمام ، وإذ بالإمام يسحب يدي مباشرة إلى الخلف . وكان ينزعج إذا ما طلبنا من أحد القيام ليجلس الإمام مكانه ، ولذلك أصبحنا نبعث بشخص قبل نصف ساعة من مجيء الإمام فيأخذ مكاناً له ويشتغل بالدعاء والزيارة إلى حين مجيء الإمام فيعطيه مكانه .

وينقل الشيخ عبد العلي قرهي : كان الإمام يزور كل ليلة الزيارة الجامعة في الحرم وكان خدمة الحرم يريدون تنظيفه وإغلاق الباب

ولكنهم كـانوا يتمهّلون في ذلـك. فالتفت وقلت لـلإمام: هؤلاء يـريدون الذهاب بسرعة وهم يتأخرون لأنكم تزورون. فقال الإمـام: لماذا لم تخبرني قبل الآن؟ وبعد ذلك لم يقرأ الإمام الزيارة الجامعة كل ليلة، وإنما في ليالي الجمعة فقط حيث يبقى الحرم مفتوحاً إلى الصباح.

وينقل الشيخ قرهي أيضاً في ذلـك: في إحدى المـرات وبينما كان الإمام يزور الإمام الحسين (ع)، وكان يقرأ الزيارة الجامعة، كان الشخص الذي ينظف الحرم منهمكاً بإزالة الغبار عن المرقد الشريف. وعندما اقترب من الإمام أشرت إليه بالتوقف فاستجاب لذلك. وبعـد دقائق جاء شخص آخر وبدأ بالتنظيف دون أن يلتفت إلى وجود الإمام. فاستأت منه كثيراً ونهيته عن ذلك بحدة، وبعد مغادرتنا الحـرم، قال الإمام: أيها الشيـخ لقد تصـرفت خلافـاً للشهامـة. فقلت: لم أكن منتبهاً. فقال: لماذا تعاملت معه هكذا؟ إنه كان يؤدي مهمته.

لقد اعترض الإمام على الشيخ قرهي ليبين له إنه إنسان عادي لا ينبغي أن يهان الناس من أجله ولا يقبـل بأن ينتـظر الخدم في الحـرم الشريف بحيث يتأخرون عن إنهاء عملهم بسبب عدم انتهاء الإمام من قراءة زيارته. ولذلك فقد أصبح فيما بعد يزور زيـارة أخرى بحيث لا يؤخـر العمال. ولقـد كان صـدره منشـرحـاً للنـاس أيضـاً ولا يـرضى لأصحابه أن يمنعوا الناس عنه ولا أن يبعدوا من أماكنهم فسحاً للمجال من أجله وذلك كله من خلقه الرفيع والجميل.

ويترجم الإمام احترامه للناس ورعاية مشاعرهم بأفعاله وتصرفاته الحكيمة دائماً. فعندما كان الإمام في باريس نزل في إحدى مناطقهـا في منزل أحد الجامعيـين أولاً، وكان البيت في الطبقة الرابعة، ولكثرة الذهاب والإياب إليه وعدم راحة الجيران بسبب ذلك قرر الإمام أخـذ

مكان لا يزعج فيه أحداً فكان بيت نوفل لو شاتو .

وفي باريس وفي ليلة ميلاد السيد المسيح (ع) وزع على جيرانه المسيحيين هدايا مؤلفة من بعض الحلويات الإيرانية والمكسرات إضافة إلى باقة ورد لكل بيت .

وفي نوفل لو شاتو يمنع ذبح الحيوانات خارج المسلخ حسب القانون ، وفي أحد الأيام ذبحوا في مكان سكن الإمام خروفاً . . ومع أن الإمام كان في ديار الكفر ، قال : لأن ذلك مخالف لقانون الحكومة فلن آكل من هذا اللحم .

فإن الإمام وإن كان في منطقة غير مسلمة ولكنه كان يظهر فيها أخلاق الإسلام واحترام الرسالة المحمدية للإنسان ، كيف وهو المتعلم من نبع الطهارة لا يكون كذلك !

كانوا مسيحيين ولكنه رفض إزعاجهم في سكنه بسبب تردد الزائرين إليه . لم يكونوا مسلمين . ولكنه شاركهم وبارك لهم عيدهم بميلاد رسول ما قبل الإسلام . فبعث إليهم بهدايا كعلامة مشاركة في هذا العيد . وكذلك كانت الدولة كافرة ولكنه استنكاراً لمخالفة نظامها أبى أن يأكل هناك من لحم الخروف المذبوح خلاف القانون .

وقريب من هذا المجال ، يروى عن علي (ع) في كتاب الكافي : عن أبي عبد الله عن آبائه (ع) أن أمير المؤمنين (ع) صاحب رجلاً ذمياً فقال له الذمي : أين تريد يا عبد الله ؟ فقال : أريد الكوفة . فلما عدل الذمي عن الطريق عدل معه أمير المؤمنين (ع) فقال له الذمي : ألست زعمت أنك تريد الكوفة ؟ فقال له : بلى ، فقال له الذمي : فقد تركت الطريق ؟ فقال له (ع) : قد علمت قال : فلم

عدلت معي وقد علمت ذلك ؟ فقال أمير المؤمنين (ع) : هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا ﷺ ، فقال له الذمي : هكذا قال ؟ قال : نعم . قال الذمي : لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة فأنا أشهدك أني على دينك ورجع الذمي مع أمير المؤمنين (ع) فلما عرفه أسلم .

ونفهم مما مضى كله من خدمة الإمام للناس وحرصه على أن لا يخدمه أحد كما يذكر ذلك الأخ سليماني أن الإمام كان شديد الحرص ويقول لنا دائماً عندما نقوم بأي شيء من أجله ، لا تزعجوا أنفسكم .

ومع ذلك نراه يخدم الناس ويرى ذلك لا يقل ثواباً عن الزيارة . وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) : « أما إنك أن تعين أخاك المسلم أحب إليَّ من طواف أسبوع بالبيت مبتدئاً » .

ويؤخر صلاته لإنقاذ بعض المؤمنين ويأتي بالطبيب في آخر الليل لمداواة بعض آخر فيغيث اللهفان ويسد القروض ويقضي الديون ويعيش مع الفقراء بقلبه ويحس بحاجتهم دوماً في عطائه ويسعى في سد ما يحتاجون إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مفرقاً بين من حاجته قليلة فلا يعطيه أزيد من حاجته وإن طلب ومن حاجته كثيرة فيعطيه بمقدارها وإن عف نفسه وتظهر الكرامات في فعله الإلّهي وسخائه المحمدي وعطائه العلوي ، لا يريد بذلك جزاءً ولا شكوراً .

ويأبى أن يهان محتاج ويرد سائل بجفاء ، فإن لم تتسع الأموال للحاجات تتسع الأخلاق لها . ويرفض إزعاج الناس بوجوده ويفعل ما بوسعه لراحتهم ، فيساعدهم حتى في جمع الصحون وغسلها ويهتم بهم فإن كانوا مرضى يوصيهم بالذهاب إلى الطبيب وإن كانت لديهم مشاكل أخرى يسعى بكل اهتمام لحلها .

ثم لا يرى لنفسه أي امتياز فلا يقبل بأن يرضى لنفسه ما لا يكون لحارسه ، فهو ابن علي (ع) الذي ذهب إلى السوق مع قنبر فاشترى ثوبين واحد بدرهمين أو دينارين والآخر بثلاثة فيعطي قنبر الثوب الأغلى ويأخذ لنفسه الآخر .

ويختصر زيارته لئلا يزعج العاملين في الحرم ولا يقتصر حرصه على عدم إزعاج المسلمين فقط بل وغير المسلمين من الناس العاديين .

كل ذلك يبين لنا مدى عظمة خلق هذا الرجل العظيم ويعلمنا كيف يكون الإنسان مسلماً حقاً ومؤمناً واقعياً يمثل بخلقه خلق رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار من آل بيته عليهم صلاة الله وسلامه أجمعين .

نفهم من ذلك كله أن خدمة الناس بالشكل الصحيح وتجنب إزعاجهم والسعي لاحترامهم وترك التكبر عليهم وعدم الترفع في الامتيازات عنهم كل ذلك من صلب أخلاق الرسالة ومن عمق خط ونهج الإمام الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل في أساس طهارته موضحاً السلوك الصحيح للعاملين مع الناس والسالكين بذلك إلى الله تعالى .

فهرس المحتويات

الصفحة

ولكن . ذلك المعشوق الذي تهواه مئات القوافل، فإن اسمه وذكره . . خطابه وروحه المتعالية . . إرادته وعزمه الحديدي . . استقامته وشجاعته . . وعيه وإيمانه، وأعني : روح الأرواح وبطل الأبطال، قرة الأعين، وعزيز الشعب الإيراني، أستاذنا المعظم والقدير آية الله العظمى الخميني (قده) ان ذلك نعمة أنعمها الله في قرننا وحياتنا المعاصرة هذه وحقاً انه مذاق حي وواضح للحديث القائل :

« إن لله في كل خلف عدولا ، ينفون عنه تحريف المبطلين » .

الشهيد السعيد مرتضى مطهري

